

فهرس العدد

● دراسات وأبحاث

- 2 د. محمد أركون . وجوه ازدهار الفكر العربى فى المغرب الاسلامى .
- 31 د. يعنى بوعزىز . المجهولون من زعماء المقاومة فى الشرق الجزائرى .
- 59 د. محمد الصالح مرمول . المكانة التاريخية للشرق الجزائرى فى نهاية القرن الثالث الهجرى .
- 72 المهدي البوعيدلى . جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر .
- 89 أحمد توفيق المدنى . حياة كفاح .
- 103 د. بشر التليلي . حول مذكرات : حياة كفاح .
- 107 د. حكيم بن عطية . وضع تعليم وعزف الموسيقى الكلاسيكية العالمية فى الجزائر .

● قصة :

- 122 محمد نسيب . ان بعض الظن اثم .

● من محاضرات الملتقى :

- 130 د. على عبد الواحد وافى . الحرية المدنية فى الاسلام .
- 142 مالك بن نبي . مشكلة الحضارة .



وجوه ازدهار الفكر العربي في المغرب الاسلامي

د. محمد اركون

أستاذ الفلسفة الاسلامية
بجامعة السربون الجديدة
باريس (فرنسا)

ترجمة : مروان القنواطي
مع مراجعة المؤلف

قال ابن طفيل : « ولا تظن أن الفلسفة التي وصلت
اليها في كتب ارسطوطاليس وابي نصر الفارابي
وفي كتاب الشفاء لابن سينا تفي بهذا الغرض الذي
أردته ولا أن أحدا من أهل الاندلس كتب فيه شيئا
فيه كفاية وذلك أن من نشأ بالاندلس من أهل الفطرة
الفائقة قبل شيوع علم المنطق والفلسفة فيها قطعوا
أعمارهم بعلوم التعاليم وبلغوا فيها مبلغا رفيعا ولم
يقدرُوا على أكثر من ذلك ... » *



(*) صدرت هذه المقالة باللغة الفرنسية في مجلة DIOGENE عدد 1976/93 .

مؤلفون غربيون « تقدميون » جلهم من الفرنسيين يعززون عن طيب خاطر ما يورده المغاربة من مآخذ مسوغة تسويقا كافيا . الا ان هذا النقد سرعان ما أصبح معادا مكررا لانه يلوذ دعوى معروفة جدا بالتعبير نفسه « وكما ينبغي لادب المغرب أن يتحرر مما تواضع عليه من عبارة لـ « قومية بالية لا تتفق مع مقتضيات العصر » - في تعبير مصطفى الاشرف - ينبغي لفكر المغرب أن يتخلى عن الانشغال بتكرير الاحتجاج لطرق مهام معلقة منذ قرون »

لا ريب أن علاقة المغاربة بتاريخهم وبمجتمعهم الحقيقيين حرفها عن مواضعها نظرة المستعمر القائمة على تفضيل الرجل الابيض وكره المسلمين . غير أنه ينبغي اتمام هذه الحقيقة بملاحظتين تهملان في المجادلات غالبا :

- (1) ان النشاط « العلمى » فى الفترة الاستعمارية كدس من حيث لا يريد وثائق لا بدليل لها ينبغي أن تستخلص من غلافها الايديولوجى فيستغلها فكر مغربى موضوعى .
- (2) منذ العقد الخامس من قرننا هذا ، أخذ الفكر الغربى نفسه ينتبه الى ضلال مناهجه فى البحث والضعف الاستمولوجى لعلم يزعم انه تاريخى ايجابى مثالى ... ان هذا النقد الاستمولوجى يتيح لنا أن نرى كذلك أن الاستقلال السياسى ، وهو يفرض اسبقية ايدولوجية البناء الوطنى ، يؤخر أو يحرف الجهود التى يقتضيهما الذود والكشف عن فكر مغربى ذى غائية معرفية لا جماعية فحسب (2)

ولست المسألة بأن نحط من قيمة ايدولوجية البناء الوطنى - التى نحن احوج ما نكون اليها - حتى ينتقم الفكر النقدى انتقاما نظريا . وهو انتقام باطل بل محال فى المرحلة الراهنة من تاريخ المغرب . ولئن كان لايدولوجية البناء الوطنى فضل الوجود وفضل أخذها مصر شعوب برمنه على عائقها فان الفكر النقدى بدأ يظهر قليلا لدى عدد ضئيل من الباحثين . ولهذا نعتقد أننا نعمل على توليد لافكار (2) البناء الوطنى ونحن نستفتى أنفسنا فى ما بنمى القرب من علاقة بتاريخه والتاريخ على وجه العموم .

وحسبنا أن تعتبر المسائل الست المسجلة فى برنامج ملتقى الفكر الاسلامى التاسع الذى انعقد فى تلمسان (من العاشر الى التاسع عشر من يوليو 1975) برعاية

- في النطاق الثقافي الخاص بالمغرب المعاصر - ولو أطلقت لنفسى العنان لطال الحديث بى عن هذا النطاق هاهنا - وموجز القول ان الكلام المسيطر (le discours dominant) يحاول أن يحى على صعيد التعبير وحدة « للنفس » (بالمعنى المتافيزيقي القديم الذى يترجم به « الشخصية » اليوم) المغربية المندمجة فى « النفس » العربية الاسلامية ، الا ان هذه الوحدة تنفجر فى التاريخ الواقعى والحياة اليومية للناس ، فيحدث انفصال - ينكره ويوازنه التأكيد الايديولوجى - بين الدين والدنيا اللذين كان الاسلام يجمعهما **جمعا** **أنجع** (لكن لا أكتفى مطابقة اذا اعتبرنا ما يطرح دائما من مشكلة مطابقة كل لفظة للواقع الذى تزعم انها تعبر عنه) (5) . ونحن نميز توترات متزايدة بين الاشكال القبلية للواقع (les formes à priori) لفكر ميتافيزيقي يريد أن يأخذ على عاتقه مصير « النفس » فى استمرار (الثرات) العربى الاسلامى والاشكال القبلية لفكر سياسى واجتماعى ومعايشى يضبط حياة الجماهير اليومية بقرارات مذهلة فى أي اتجاه سيتطور هذا التوتر الجذلى الذى يسم كل القوة الاجتماعية الحركية للشعوب العربية الاسلامية اليوم ؟ ان هذه المسألة تفتح بابا من جديد الى مشكلة العلاقات بين البنية السفلى والبنية العليا وتفتح سبيلا فى البدء الى مشكلة المركبات الدائمة او المتغيرة للبنية السفلى والبنية العليا ، وهما مشكلتان قد افترض الكثير انها محلوتان .

ومن المناسب ان نتم هذه الملاحظات السريعة بالتحذير من تفسير مستعجل لمفهوم الاصلية الذى تستعمله دولة الجزائر والذي هو فعال جدا فى كل التفكير العربى الاسلامى الراهن . فاذا اقتصرنا على النصوص الوحيدة التى يحيل اليها هذا المفهوم المتردد فى تاريخ الاسلام كله، ملنا الى أن نعيد كل ما يقال فيه الى مقصد الفكر الاصلاحى الاصلى والى مقولاته . ولا ريب أننا نعثر فى ايديولوجية الاصلية وايديولوجية السلفية (فى موضوع الاصلاح أو الرجوع الى اسلام السلف الصالح من الصحابة فى الكتاب والسنة) على التأكيد المشترك بأن صدر الاسلام يجب أن يظل قدوة العمل التاريخى والامل الدينى للمسلمين . غير أن حديث الاصلية بضعفه النظرى ووظيفته النفسية الاجتماعية يوافق، فى الواقع، الاحوال التاريخية التى يجتازها المغرب منذ الحرب العالمية الثانية . وموجز القول أن **منظومة العمل التاريخي** (S.A.H. : Système d'Action Historique)

للمجتمع المغربي أصابها التدخل الاستعماري وضرورات جهاد التحرير، أصابة بلغت أن جعلت الفكر والعمل يصطدمان في كل مضرب بصنوف رهيبة من التفاوت : كالتفاوت التاريخي بين الامم المصنعة القريبة من المغرب كل القرب وأبنية عتيقة ما تزال غالبية ، والتفاوت الاجتماعي الاقتصادي بين ديمغرافية متضاربة ومقدرات الانتاج وبين الطبقات المالكة والطبقات العاملة والمحرومين ، والتفاوت الاجتماعي الثقافي بين الاميين والذين يعرفون القراءة والكتابة وحمة الثقافة التقليدية وحمة الثقافة المفتحة (بشذور من الايديولوجية الثورية عناصر من الثقافة العربية الاسلامية ونظرات مقتضبة في الثقافة الغربية) ، والتفاوت الاجتماعي السياسي بين الصفوة الحاكمة والجماهير المحكومة والطبقة السياسية والمتقنين ، والتفاوت الاجتماعي الديناميكي بين قوى الانفجار وعوامل حرك النسيج النفسي الاجتماعي والتحامه ... ويعبر حديث الاصاله تعبيرا غير مباشر عن كل ما سبق من تفاوت بكل الحسرات الفردية والجماعية وعما يؤدي اليه من سوء العيش؛ فهو لا يشخص المرض تشخيصا مؤثرا مفعما ؛ ان تم ذلك أدى الى تعطيل الطاقات في مرحلة حرجية - بل يبرىء منه مستعينا طريق تأكيد الذات فينزل صعوبات واضحة (7) . ومن هنا كان حديث الاصاله في بنائه خيرا من غيره في التلازم مع الاطر الاجتماعية الثقافية للمعرفة وللتاثير التاريخي في المغرب المعاصر . فهل لنا أن نقول بأن الاحاديث المنافسة يجب أن تهمل بل أن تحذف ؟ وما هنا نلتمس الضرورة العاجلة للاجتهاد حتى نضع علميا وننشر ثقافيا ، علاقة جديدة بالشعور الجمعي وبالوعي التاريخي .

2) الفكر العربي والمغرب الاسلامي

لقد كتبنا الكثير عن مدلول الفكر العربي (8) . ونحن حريصون على أن نذكر أولا أنه كل فكر يستخدم اللغة العربية للابانة عن تصوراته ولاستنباطات ولاعراپ عن ذاته . بيد أن هذا التعريف اللغوي يشمل الفكر اليهودي والنصراني اللذين عبرا عن نفسيهما باللغة العربية في عصور الاسلام الزاهرة ويشمل الفكر النصراني لاهل لبنان وسوريا والقبط في ايماننا هذه . فينبغي أن نوضح أن الفكر العربي في المعنى السائد هو الفكر الذي يعبر عن نفسه باللغة العربية في المجال السيميوتي حيث تغلب بدرجة متفاوتة التأثير الاسلامي .

ان هذا التعريف يتيح لنا أن نخرج من النطاق الضيق الذى عزل فيه مؤرخ « الافكار » حتى يومنا هذا . ولم يقتصر هذا المؤرخ على تفضيل المعانى الجوهرية بتتبع تطورها التاريخي خارج بيئتها الحية حيث تصبح فعالة بل استأنف كذلك أقساما جدالية أو شكلية للمعرفة كعلم الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتفسير والنحو والتاريخ والعلوم وغيرها ... أنا لا أقول بأن هذه المواد لم تبد سمات مميزة فى عصور الاسلام الزاهرة ؛ ولكن المرء يرى أنها لا ترتبط بمنظومة تسمى باليونانية *épistémè* وهى ابنية من البنيات الحلقية التى تدعم بجهازها المتين ، خطابات متنوعة ... ؛ انها تنظيم كامن للمعرفة يقوم ، وراء معطى المناهج بأساس لا شعورى لفترة من الزمن أو لقسم من العلم ، انها كخطاب خلفى ... سلسلة من النسقات والمبادئ المنظمة والموجهة لمشروعات المعرفة ... » (9) .

ان مدلول الـ *Epistémè* الفنى الذى يتيح وصل تاريخ الفكر بالتاريخ العام أخذنا الديمومة القصيرة والمتوسطة والطويلة (10) بعين الاعتبار ، لم يلفت بعد انتباه أى مؤرخ للفكر العربى (11) . بفضل هذا المفهوم يمكننا أن نفسر السبب الذى جعل الفكر الإصلاحى وفكر الاصاله راهنين وقديمين ؛ فهما راهنان لأن أكثر الناس فى المجتمعات الاسلامية يحتفظون بأبنية تقليدية ؛ وهما قديمان اذا اعتبرنا **المشروع** التاريخى لهذه المجتمعات التى تقبل ازدياد التزامها بالتجربة المغامرة للتنمية . ولا يستطيع المجتمع أن ينفث على **الحداثة المادية** وهو يحافظ على منظومة عقائده التقليدية وغيرها فى منجى مما فى المبادئ المنظمة **للحداثة الفكرية** من قوة تحرر من الاساطير والتزوير . ان النزاع بين اصول الفكر القديم وأصول الفكر الحديث لن يعلم أن يقطع مراحل حادة كما حدث فى الغرب . ولا يقتصر الامر على الغرب ، ففى عالم الاسلام ما زلنا لا نستطيع الكلام عن انقطاع ابستمولوجى جذرى ؛ بيد اننا نملك أن نكشف فى الكتابة العربية المعاصرة عن إشارات مجابهة بين عالمين عقليين أو رؤيتين للعالم بما يوافقهما من

للمجتمع المغربي أصابها التدخل الاستعماري وضرورات جهاد التحرير، أصابة بلغت أن جعلت الفكر والعمل يصطدمان في كل مضرب بصنوف رهيبة من التفاوت : كالتفاوت التاريخي بين الامم المصنعة القريبة من المغرب كل القرب وأبنية عتيقة ما تزال غالبية ، والتفاوت الاجتماعي الاقتصادي بين ديمغرافية متضاربة ومقدرات الانتاج وبين الطبقات المالكة والطبقات العاملة والمحرومين ، والتفاوت الاجتماعي الثقافي بين الاميين والذين يعرفون القراءة والكتابة وحملة الثقافة التقليدية وحملة الثقافة المتفتحة (بشنور من الايديولوجية الثورية عناصر من الثقافة العربية الاسلامية ونظرات مقتضبة في الثقافة الغربية) ، والتفاوت الاجتماعي السياسي بين الصفوة الحاكمة والجاهير المحكومة والطبقة السياسية والمثقفين ، والتفاوت الاجتماعي الديناميكي بين قوى الانفجار وعوامل حبك النسيج النفسي الاجتماعي والتحامه ٠٠٠ ويعبر حديث الاصاله تعبيرا غير مباشر عن كل ما سبق من تفاوت بكل الحسرات الفردية والجماعية وعما يؤدي اليه من سوء العيش؛ فهو لا يشخص المرض تشخيصا مؤثرا مقبعا ؛ ان تم ذلك ادى الى تعطيل الطاقات في مرحلة حرجية - بل يبرى، منه مستعينا طريق تأكيد الذات فيذلل صعوبات واضحة (7) . ومن هنا كان حديث الاصاله في بنائه خيرا من غيره في التلاؤم مع الاطر الاجتماعية الثقافية للمعرفة وللتاثير التاريخي في المغرب المعاصر . فهل لنا أن نقول بأن الاحاديث المنافسة يجب أن تهمل بل أن تحذف ؟ وما هنا نلتمس الضرورة العاجلة للاجتهاد حتى نضع علميا وننشر ثقافيا ، علاقة جديدة بالشعور الجمعي وبالوعي التاريخي .

(2) الفكر العربي والمغرب الاسلامي

لقد كتبنا الكثير عن مدلول الفكر العربي (8) . ونحن حريصون على أن نذكر أولا أنه كل فكر يستخدم اللغة العربية للإبانة عن تصوراته ولاستنباطات وللارباب عن ذاته . بيد أن هذا التعريف اللغوي يشمل الفكر اليهودي والنصراني اللذين عبرا عن نفسيهما باللغة العربية في عصور الاسلام الزاهرة ويشمل الفكر النصراني لاهل لبنان وسوريا والقبط في ايماننا هذه . فينبغي أن نوضح أن الفكر العربي في المعنى السائد هو الفكر الذي يعبر عن نفسه باللغة العربية في المجال السيميوتي حيث تغلب بدرجة متفاوتة التأثير الاسلامي .

استراتيجيات معرفية - وهاكم على سبيل الاشارة المسلمات أو الموضوعات الاساسية التي تؤلف رهان التنافس :

مسلمات الفكر الكلاسيكي

- وجود ذات انسانية لها سيادة ، وهي (خليفة الله في الارض) ؛
- فكر مركز على الله ونظر موجه الى الله ، أى مجموعة لغوية ممتازة (الوحي) أو (كلام الله) ؛ حقيقة العالم الخارجى ، والتاريخ واحكام السلوك الانساني مستنبطة من الوحي ؛
- الاستنباط من الوحي به بنطق خطى قائم على المقولات واستنباطى ؛ أو صب رؤى الخيال المبدع على هذا الوحي به ؛
- تفكير جوهرى ذاتى ثابت ؛ فالالفاظ تدل على وقائع جوهرية مستقرة ما دام الله لم يغيرها ؛
- موضوعية وتاريخية ونزعة الى فقه اللغة تجلت في الفكر الاسلامى فى المصور الاسلامية وعززها الفكر الغربى منذ القرن السادس عشر وابدال النظرة المركزة على الله نظرة مركزة على الانا الانساني السائد (الانسية) ، (الا أن هذا الابدال لم يكن قط حاسما كما يعتقد التفكير الاسلامى الدفاعى الذى لا يزال يعارض غربا وثنيا ماديا بشرق موحد روحى) ؛
- تفكير تكوينى (الاصل والغاية) معيارى وعقائدى .

مسلمات الفكر الحديث :

- انبثاق ذات متجاوزة للأفراد خاضع لانواع القسر البيوكيميائى واللغوى والاجتماعى والبيئوى والكونى هو محل ضروب من الاكراه حيوية كيميائية ولغوية واجتماعية وبيئية وكونية ؛
- لجوء الى منطق جدلى والى ضروب من المنطق الجمعى ؛

مجلس

(۱) ان کی بیکری، ماحول، اور جسمانی طور پر ایک ہی چیز ہے۔

١٠٠

မိုးဝေ့ - ၂၆ ဇူလိုင်၊ ၁၉၈၈ ခုနှစ်၊ ဇူလိုင်လ ၁၆ ရက်၊ ရက်စွဲ၊ ရက်စွဲ၊ ရက်စွဲ

၂၀၁၆ ခုနှစ်၊ ဇူလိုင်လ ၁ ရက်နေ့၊ နံနက် ၈ နာရီ ၁၀ မိနစ်

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

מִתְּחִלָּה מִתְּחִלָּה מִתְּחִלָּה

• ۱۴۰۰/۰۱/۰۱

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين

الإعراب والبيان والبيان والبيان

[illegible]

மேல் பக்கம் 1000, கீழ் பக்கம் 1000, மொத்தம் 2000, 1000 ரூபாய் (ரூ.) - 65 ஆகி

[illegible][illegible][illegible][illegible]

(13) $\vdash \neg \exists x (x \neq x)$

ان الله اعلم بالصواب

• (12) القوي اللبنة ووضي المزى المله وعاى الأةاضى الملسانى الملسانى -

والله اعلم

— ထိုကဲ့သို့ အချက်အလက်များ (၂၀) မှာပါရှိသော အချက်များကို အောက်ပါအတိုင်း ဖော်ပြပါမည်။

— ဆက် ဆို ကောင်း ပြောလို့ : လူ့ ဝန်ဆောင်မှုနှင့် ကောင်းမှုကို လုပ်

[illegible]

— 1917 10 15 5. 42

$\frac{1}{n} \sum_{i=1}^n x_i = \bar{x}$

[illegible]

(٤١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّيِّئَاتِ﴾

(4) **الزكاة** : الزكاة هي

המחבר והמחברת, וכל מי שיש לו חלק בזה, יודע ומוסר.

[illegible][illegible][illegible]

الغلاف الجوي الذي هو محيطة بالكرة الأرضية يسمى الغلاف الجوي.

[illegible]

၂၀၁၆ ခုနှစ် ဇူလိုင်လ ၁ ရက်နေ့မှ ၂၀၁၆ ခုနှစ် ဇူလိုင်လ ၃၁ ရက်နေ့အတွင်း

[illegible][illegible]

وَدَعَا إِلَى تَوَكُّلٍ عَلَى اللَّهِ وَاعْتَدَانَ لِلْغَنَىٰ عَنَّا ۚ

[illegible]

2) നിന്നു മുമ്പ് ഈ കമ്മിറ്റി പ്രവർത്തിച്ചിരുന്ന സമയത്ത് ഈ കമ്മിറ്റി : മറ്റു

11:44 : 11:53

(16) אֲנִי הָיוּ לְךָ עוֹלָם וְעוֹלָמֵי עוֹלָמוֹת.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

المجلس الأعلى للعلوم والبحوث والتنمية

[illegible]

التيمم | التمسك على كل عزمه | الحكم بينكم في الدين | الدنيا والآخرة |

[illegible][illegible]

وتوفي في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٢٨٥ هـ في مدينة جدة.

ശ്രീ ജി. സി. (16) .

၂) ဂါးဂါးကွက်တို့တွင် အောက်ဖော်ပြပါအတိုင်း အကျိုးရှိကြောင်း တွေ့ရှိရပါသည်။

67. 1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 84

5) **المنسى** الذى قد ينبعث ، مع ذلك ، فى سنة فكرية معتبرة من زاوية الديمومة الطويلة ، وهكذا نرى أن الاعتزال المكبوت تدريجيا المحصور الى حالة الباقي ثم المنسى فرونا طوالا ، انبعث فتجدد فى الشطر الاول من القرن العشرين . ان المدخل السلبي لتاريخ الفكر يفرض بحثا متيرا يهمله المدخل الايجابى : فمن المناسب أن نعد **سوسولوجية النسيان** بدلا من أن نحلق بازدياء فوق قرون « انحطاط » التاريخ الاسلامي ، اذ لا تصادف أى « عبقرية » نرفعها ولا أى مبتكر جدير بلفت نظرنا ولا أية مادة خاصة تغذى الكلام الايجابى . ما هى الموضوعات والمشكلات والمشاكل والحلول التى تختفى من الاتفاق الفكرى لزمن من الازمنة ولجماعة من الجماعات ولنطقة من المناطق ؟ كيف يندرج الاختفاء ؟ لم يفرض نفسه ؟ ان الاجابة عن هذه المسائل تضطر المؤرخ التقليدى الى أن يتم بحثه فى « الوثائق » المكتوبة عن الفكر المؤنس ببحث عن « الفكر الوحشى » .

ونحن نرى كيف يضطربنا اكتشاف **اللامفكر** فيه الى أن نعيد اعتبار ما نسميه على عجل الفكر فى ميدانه ومحتواه ووظيفته . ان الفكر بالمعنى الواسع يشمل النشاط النفسى كله ، وقد كتب ديكرت عنه فقال : « أنا شئ يفكر أى يشك ويجزم وينكر ويعرف قليلا من الأشياء ويجهل كثيرا ويحب ويكره ويريد ولا يريد ويتخيل كذلك ويشعر » (التاملات ، 3) . واذا اقتصرنا على هذا التعريف فنحن لا نستطيع أن نخط حدا واضحا بين اللامفكر فيه والمفكر فيه : ان فلسفة الانا الديكارتية تكشف بهذا تشابهها أو اشتباهها وينجم عن ذلك أنها تكشف ما فيها من لا مفكر فيه . وثمة فى كل ما يصيب الشعور حظ عظيم من لا مفكر فيه يسهل علينا أن نعلمه ونكتشفه اذا اتخذنا التفكير بالمعنى الدقيق كمعرفة بالمفاهيم أى اجتهد « الفهم والعقل من حيث يتيحان لنا أن نفهم ما يؤلف مادة المعرفة ومن حيث يحققان درجة من التركيب أعلى من الادراك أو الذاكرة أو التخيل » (18) . ان سبيل **الفهم** وأصوله وامتداده تتغير بتغير الأزمان والمناطق الثقافية ولكنها تظل المعايير الاساسية لدراسة علاقة اللامفكر فيه والمفكر فيه .

ومن النتائج التى سنعتمد عليها فيما يلى ، أن التفكير ميدان معارف مفتوح بالضرورة بما أن فعل الفهم يتم فيه بحيث نجد أن « ما نصح به » فهمه « لا يمكنه أن يكون غير ذلك وأن مناقضه ان كان فهو باطل » (19) . يتضمن هذا التعريف :

والشام أثناء التنازع على الخلافة . وينبغي لنا أن نتخلى عن المصطلحات الجدالية (الحوارج) التي أملاها الادب الاسلامي (اسلام الامويين والعباسيين) وعمل على استمرارها الى ايامنا هذه بعض الدراسات الاسلامية (21) حتى نفسر تفسيراً صحيحاً اصطدام العقيدة الجديدة بمجتمع خاص (ان لم يكن تماثل في الابنية والوظائف فثمة تشابه بين المجتمع العربي البدوي والمجتمع البربري في الجاهلية) . صحيح أن الحوارج الاباضية في وادي ميزاب مجمدون في شكل من الفكر اكل الدهر عليه وشرب بيد أنهم لا يزالون يعبرون تعبيراً بربرياً عن تجربة المدينة كما أدركها طائفة من المسلمين وفهموها ودعوا اليها ونشروها في القرن الثامن .

(2) ان الفكر الفقهي الحلقى المالكي كان أكثر تأثيراً وانتشاراً ودواماً من كل اشكال الفكر التي أدخلها المسلمون في الغرب الاسلامي . وقد ثبت هذا المعطى الاجتماعي الثقافي ثباتاً جعله يشترط النشاط الفكري كله من الوجهة العملية في المغرب الاسلامي منذ ادخال المالكية سنة 796 حتى دخول الحداثة . ومنذ سنة 808 اثبتت ثورة الربض الشعبية قوة فقهاء المالكية الذين استطاعوا ان يؤلبوا الرأي العام على أمير اباحي (22) . ونشهد هذه الحادثة على ارتقاء طبقة الفقهاء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ويصدعون بالحق ويقفون في وجه الفن والخطر المحقق ؛ الا أنها تشير كذلك الى قوة الاندماج الاجتماعي الثقافي لهوية « اسلامية » تعبر عن نفسها في نطاق المالكية الفكرى الحلقى الفقهي المذهبي .

لقد حاول الباحثون أن يدركوا أسباب نجاح المالكية الساحق الذي لا جدال فيه والمذاهب الاخرى تنافسها ودخلها يرجع الى مجرد طارئ سياسي (هو معارضو الحكم العباسي الذين فروا الى الاندلس) (23) . وقد طال البحث عن التفسير الاجتماعي فكان السؤال ألم تكن مناهج الفقه المالكي خيراً من غيرها في استطاعتها مسايرة أعراف المجتمعين الاندلسي والمغربي وارضاء مطامعهما العميقة « في ظل الاسلام » ؟ ومن المناسب أن نتابع هذا البحث ونحن أكثر اعتباراً لواقعات لم يشر اليها الباحثون حتى الآن الا بعض الاشارة .

«إيجابية فقدت قوتها الإيجابية» ذلك بأن العقل التحليل انتهى بزوال نفوذه لصالح الاعترافات الفنية ونظرة المعارف التضمينية . وفي خاتمة المطاف نجد في الأدب أن اختيار آثار الجاحظ المدروسة سراب خادع وأن الشعر عرف الرقابة الذاتية والرقابة الدينية (والامر بالمعروف) (25) .

2 د) سواء على الفكر المالكي أدى وظيفة أيديولوجية الاندماج أم أيديولوجية جهاد ، استطاع ، وهو التعبير المسيطر للفكر العربي في الغرب الإسلامي (ما عدا الموحدين) أن ينشر « أبنية قابلة للتصديق لعالم احتمالي » (26) . أن هذا العالم عالم « إسلامي » ينحصر إلى ما تتمتع به المؤسسة من رؤية تاريخية وتعبير خلقي فقهي مذهبي وعالم جغرافي سياسي : وهذا ما يمين مدى واسعا من الالفكر فيه داخل الانبسلام بالقوة ودخل اسقاطه التاريخي الجاري بل في الواقع التاريخي الاجتماعي للمحيط النصراني الذي كتب في اسبانيا من بعد تكذيبا اختياريًا تاما الكلام التبريري الشرعي الاسلامي وما يمزره من مناسك وفروض وشعائر اجتماعية وضروب العلامات الاجتماعية الثقافية في اللغات والزي واللباس واثاث البيت والمطبخ والمحرمات وغيرها .

أو نكون في حاجة الى أن نوضح أنا لا نؤاخذ الفكر المالكي على جهله التاريخ وعلم الاجتماع الوضعيين ؟ وأن نجاح الحملات النصرانية لا يتضمن ابدا مسيرة للفكر النصراني اقرب من الواقع والحق وأهدى سبيلا ؟ بل تحليلنا يرمي الى أن يبين الموقع التاريخي لاطر الفكر الاسلامي العلمية (كان الفكر النصراني يستخدم كلاما في التبرير الشرعي معادلا في النقاط كلها الكلام الذي ندرسه) بموازنتها باطر الفكر الحديث العلمية : وقد رأينا انها موازنة لا غنى عنها في جعل الفكر الاسلامي يتدبر مدلول الانقطاع الاستيمولوجي في العصر الراهن (27) . وإذا أردنا أن نعرف أدواتنا في التحليل قلنا بأن « أبنية قابلة للتصديق » تخالف استراتيجيات الفكر الوضعية لتمكين الانسان في العالم كما هو : كلام التبرير الشرعي الذي يفرض سلوكا وتصرفات بعباد أيديولوجيا (قال المذهب المالكي أو الحنبلي كيت وكيت فيجب العمل بقول

المذهب) يخالف كلام توليد الافكار الذى يرمى الى أن يدفع الفكر على كل ما يقوى على تصوره من طرق وإلى أن يستخدم كل ما يقتضيه موضوع الدراسة من افتراضات وإلى أن يجند الحيل والوسائل كلها ويرمى آخر سهم فى كنانته حتى يستوعب الآفاق -

2 و) إذا أردنا أن نعلم حدود انتشار الفكر المالكى وأثره وجب أن لا يعزب عن بالنا أن النشئة الاجتماعية لطوعى لدى المالكية يتم بمسلماتى الإدماج والابعاد : ادماج البربرى الجبلى أو البدوى أو الفلاح الذى تخل عن شريعته « الهمجية » لينحنى للمعايير والقواعد التى وضعها الحضار لأنفسهم عامة ، وابعاد من عداهم نخص بالذكر الذميين الذين يصبحون خطرا حيث يكثرون . وقد نجم عن ذلك فى المغرب القطيعة المعروفة بين دولة المدن من صوب والريف والجبال والصحراء من صوب آخر . ودارس الاجناس فى أيامنا هذه لا يزال يكتشف بقاء الابنية الجزئية بكل ما يتولد عنه من عواقب اجتماعية سياسية (28) .

3) أية علاقة نستطيع أن نقيم بين هيمنة فكر صوفى ثم طرقى ومرابطى منذ القرن الحادى عشر وضغط الحملات النصرانية على الاندلس تبعها غزو الغرب النصرانى للعالم الاسلامى من القرن السادس الى القرن التاسع عشر ؟ ونحن لا نستطيع فى الحالة الراهنة للابحاث أن نجيب عن هذه المسألة التى تتيح لنا أن نطرق مصير الفكر العربى فى المغرب فى كل عظمته التاريخية والاجتماعية . وترمى مسألتنا كذلك الى الارتياح فى ثلاثة تفسيرات جارية : الاول منها يقوم على السمو باللفة « الصوفية » آخذاً أوصافها « الروحية » بحدافيرها والثانى يقوم على البحث عن عوامل الجمود فى ابنية الثقافة العربية الاسلامية وحدها والثالث يقوم على أن يرمى على ظهر « الغرب النصرانى المتسلط » مسؤولية تضيق آفاق الفكر العربى كله (ويرى بعض القوميين العرب أن العثمانيين يشاطرونه المسؤولية) .

وإذا أردنا أن نبعث دراسة هذه النقطة الاساسية وجب أن ننتبه اعظم انتباه :

1) الى تحولات اللفة الدينية التاريخية التعليمية الادبية منذ القرن الثامن عشر .

2) وإلى أن موضوعي الجهاد والحنين إلى عزة « إسلامية » مجرحة ثم مهدمة يظهران فينتشران (والمسألة أن نظهر كيف ينزع كلام ذو غاية نفسية اجتماعية إلى أن يستبق كلاما ذا غاية معرفية لأن الشعور الجمعي مكروه على أن يذلل ما يفرض التاريخ من خيبة أمل على حالة نفسية يحببها قول الله تعالى : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » ،

وقد تكررت الظاهرة نفسها في القرن التاسع عشر في الكلام الاصلاحي لتذليل ما ولدته الحداثة من أزمة في الوعي (29) »

3) وإلى امتداد ما سميناه **اللامفكر فيه و المنسى و الملبس على حساب المفكر فيه** 4) وإلى قراءة جديدة لابن خلدون (الذي يلصّب العداء للفلسفة ولا يعبا بأبن رشد والذي سببت اللغة الصوفية قلبه) وابن الخطيب والمقرئ وغيرهم في سبيل تقويم للاستمرار والتقطع في الفكر في غضون مرحلة حرجية »

4) تنزع ايدولوجية البناء الوطني إلى أن تحبذ فكرة استمرار التراث الاندلسي والتراث العربي الاسلامي . ومن العدل أن نعترف بأن المغرب حتى الاستقلال الحديث لم يتقبل من الوجهة الفكرية السنية أي تيار من التيارات غير المالكية التي ارتأت فيها الناس وقضوا عليها في الاندلس من قبل . ولهذا يرمى منهجنا في البحث إلى أن يجمع عناصر في سبيل **سوسيولوجية الاخفاق** لأكثر تيارات الفكر العربي الاسلامي انفتاحا ونقدا وتجديدا . ولا يتعلق مدلول سوسيولوجية الاخفاق أبدا بالتاريخ الراوي الذي يهتم بالواقعات والامجاد والبقاقر ! الا أنه واجب وجوب سوسيولوجية النجاح لاشكال من الفكر والكتابة أو معاودتها . وهذا ما يبرهن عليه مثل الفلسفة والعلوم التجريبية خاصة .

5) لم يكن في المغرب الاسلامي الا قليل من المشتغلين بالفلسفة : نذكر ابن مسرة (المتوفى سنة 931) الذي ترك من بعده خلفا من النصوفة وابن باجة (المتوفى سنة 1138) الذي علا كعبه واضطهد في عهد المرابطين وابن طفيل (المتوفى سنة 1185) وابن رشد (المتوفى سنة 1198) اللذين كانا محظوظين بالحياة في ظل

يشتد رجوعه الى ضروب الامكان الثقافى المصطفاة فى غضون القرون الماضية . فما هى
ضروب الامكان هذه وكيف استخدمت ؟

(ب) ان مدرسة القرويين فى فاس تجمع اهم الوسائل وتمارس السلطان الفكرى
العلمى المذهبى المطلق . وقد اقتدى بها المدارس والزوايا التى كثرت منذ عهد المرينيين
فنسخت عنها « نسخا تقليديا » (بالمعنى الاجتماعى الذى حدده ب . بورديو) ولم
تكون نخبا جديدة من العلماء .

(ج) « نظمت فاس علم بعض الشيوخ الكبار ووجدان المتصوفة تبعا لبنيتها
الحضرية . ومنذ ذلك الوقت يتخذ مدلول المدرسة صورة المجمع العلمى الادبى والاعتداء
بمن سبق والرقابة الفيورة وهى صفات تسم كل تعليم مدرسى . والمهاجرون من الاندلس
عزوزوا هذا التطور السلبي للفكر : فقد كونوا طبقة من المسلمين اجتنوا من اصولهم
واستولوا عليهم الحنين الى الاندلس ودارت عجلة الزمان بهم وعصهم الدهر بناه وابوا
المحيط البربرى وهم الحضر الذين همهم القول الجميل والعيش الطليل . ولم تكن وظيفة
هذا الفكر الكلامى اندماج الشخصية فى المغرب الاقصى ، فقد اثبتت تعارضا خطيرا بين
معرفة منطقية على مصادر محلية واشكال جامدة من التعبير ولغة عربية فصحي لكنها افقرت
وبين الحياة الفنية الصاخبة لجماهير الشعب وكلامهم الحى (العربى والبربرى) ومدخراتهم
من الطاقات والايمان فى عصر فقدت القدرة على انفافها فى فتوح اسلامية كبرى كما كانت
الحال فى عصر المرابطين والموحدين . . . وثمة كذلك « محابة القداسة » والعلم التى
تبر عن الجنوح بثقافة فى خدمة مصالح معاشية واجتماعية لـ « صفة » قليلة
من الناس . وليس بالشىء العجاف « ان يساير استنباط شرع ذرائعى فى هذه
« الثقافة » تاليف كتب عن سير الاولياء وأن لا ترحب الصفوة بالعناصر الشعبية كل
الترحاب وأن تنكرها فى تعبير « عربى اسلامى » فى اغلب الاحوال .

(د)بقى علم الفقيه المقطوع عن مصادر الشرق وشيوخ الاندلس يعارض علم
الصوفية فى القرن السابع عشر؛ بيد أن التطور نحو هيمنة علم الصوفية هذا قد استأنف

داخل فى مرحلة من النشاط والتوسع تجاوز بها وجوه النشاط التى اشرنا اليها حتى الآن • غير أن المشكلات التى يطرحها ما يسمى التعريب فى يومنا هذا شديدة الاشتباك بحيث ان معالجتها غير ممكنة فى فقرة • وحسبنا أن نقول : ان تعميق الواقع التاريخي الاجتماعي فى الحظ الذى اتينا على رسمه لابد من أن يسبق كل سياسة سلمية للتعريب.

3 - 2) أنماط الفكر المنتشرة : فى سبيل تاريخ عميق للفكر العربى •

لا نملك أن نعالج هذا الباب من العرض برمته • فالواقع أن هننا ما هو بأن تقتصر كذلك على المنهج الوصفى الذى يعتبر الاطر والمواد التى خلفها الفكر الاسلامي لدراسة علم الكلام والفلسفة وأصول الفقه والنحو وغيرها دراسة فصحية • قلنا : ان هدفنا أن نحاول إعادة تصنيف أنماط الفكر الداخلة فى المغرب الاسلامي متخذين الايستيمه (épistémè) معابوا • فيجب أن تبلغ بنية المجال العقلي العميق الذى مكن المؤلف الواحد (أنظر ابن حزم وابن رشد والحطيب وغيرهم) من الاشتغال بمادة • ففرض التمييز بينها لأسباب جدالية أو ايديولوجية أو مدرسية •

ان دراسة مقدمات الفكر التى تصلح قاعدة لخطابات فترة بكاملها قد تكشف عن السداد العلمى لتقسيمات موروثه عن الماضى : وفى هذه الحالة نستطيع أن نفهم فهما اجود السبب الذى جعل قومنا لا يحسنون الترحاب بمادة كالفلسفة على حين ازدهرت مواد أخرى مدة طويلة •

يسهل علينا أن نرى العقبات التى تمنع من انطلاق دراسة كهذه الآن : ذلك بأنه لا ينبغي لنا أن تقتصر على قراءة جديدة لنصوص أمهات الكتب كلها فى منظور مختلف عن منظور تاريخ الأفكار بل يجب أن نطلع على الدراسات الحديثة جميعا كذلك. حتى نستمد منها المعلومات الصالحة لان ثمر من جديد فى المشروع الجديد • ولا يستطيع أن ينجز هذا العمل الا جماعة من الباحثين تشدهم اختيارات ايستيمولوجية واحدة • وانما نقترح برنامجا ممكنا للبحث هاهنا آملا أن تبعث مواهب الطلبة من مراقدها • ثمة مشروع عام ينبغي له أن يثير اهتمام الباحثين فى فقه اللغة والتاريخ والفلسفة جميعا بيد أنه لم يبعث بعد إلا محاولات وجلة : ألا وهو مشروع يرمى الى أن يحدد

الفقه (34) * « ان آثار التلاميذ « المخاربة » لا تتخذ قيمتها الحق الا انطلاقاً من هذه المعرفة المضبوطة لآلات الفكر في المصدر المقتدى به . ومن المفيد جداً أن نرجع إلى آثار عديدة من الموطأ الى مقاصد الشريعة لعلال الفاسي والطاهر بن عاشور مرجعين على سحنون (المتوفى سنة 240 هـ/ سنة 854 م) ، والباجي (المتوفى سنة 474 هـ . 1081 م) . وابن عبد البر (المتوفى سنة 463 هـ/ سنة 1070 م) ، والقاضي عياض (المتوفى سنة 544 هـ/ سنة 1149 م) ، وابن رشد (المتوفى سنة 594 هـ/ سنة 1198 م) . و خليل (المتوفى سنة 767 هـ/ سنة 1365 م) ، والشاطبي (المتوفى سنة 790 هـ . سنة 1388 م) ، وغيرهم (35) *

وفي هذه المسيرة التاريخية الطويلة لن نعدم ضروب الخطاب التاريخي والكلامي والفلسفي وغيرها أن تنبثق : وانما يكمن أكثر أجزاء البحث جدة في ما نولى ضروب الخطاب هذه مما من اهتمام حتى نرى مدى ما تخضع له من استنتاجية واحدة للفكر ومسلّمات واحدة وحدود مفهومية واحدة .

وقد بين روجه أرتلدين الصلات الوثيقة بين اللغة والفكر أو « النحو وعلم الكلام » في آثار ابن حزم ؛ ولكن ينبغي لنا أن نمضي قدما فنؤلف من جديد دعامة فكرية تشمل كذلك مسلّمات في المعرفة التاريخية المنطقية النفسية السياسية الاخلاقية الاجتماعية الدينية الادبية . ونحن لا نملك كذلك أن نفصل الخطاب الفلسفي - من وجهة النظر التي تشغلنا - عن الایستمه التي انتشرت اعظم انتشارا وادرك ابلغ نجمة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر (36) * .

ينبغي لنا أن لا نعتقد بأن قرار جمع المبادئ الموحدة للفكر - أو لرؤية العالم - في عصر من العصور ينعنا من أن نحفظ - اذا اقتضى الحال - المسلّمات والقواعد التي تتصل بعلم واحد أو بضرب واحد من الخطاب - فينبغي لنا على سبيل المثال أن نتبع الحط الدقيق الفاصل بين الاستنباط القياسي والمنطق الثنائي القائم على المقابلات والاضداد (37) * . ولهذا التمييز عواقب لا تحصى لا في القراءة السليمة للآثار القديمة وحدها بل في نشاط الفكر المعاصر كذلك * * *

التعليقات

1 - يجدر بنا ، من وجهة نظر فكر المغرب التي نرمى إليها ، أن نشير إلى أن ثمة منشورات جديدة لباحثين فرنسيين لا تقلت من المآخذ الموجهة إلى العلم الاستعماري ؛ والمؤلفون ينزعمون كثيرا إلى أن يخفوا جهلهم الذريع بالاسلام والمغرب بمجاهرتهم الشديدة بالعدم للاستعمار ؛ ونحن نؤثر أن لا نذكر أسماء اجتنبنا لجدال عقيم .

2 - نميز الايديولوجية من توليد الافكار : فالايديولوجية استخدام منظم اعتقادي وثقوى لمسلات غير مضبوطة لتبرير عمل جماعة من الناس ؛ انها تمثيل بأطل للمعنى لتعبئة الرغبات الكامنة المعترف بها لأكبر عدد من الناس ؛ أما توليد الافكار فهو جهد لاكتثار موضوعات التأمل والتفكر وتوليد أفكار جديدة وتيسير نموها بكل ما أوتينا من قوة تمثيلية وإدراكية .

3 - أنظر دراسات الملتقى السابع الذي عقد في تيزي وزو ، 3 مجلدات ، قسنطينة 1975/1395 .

4 - أنظر مقالاته وتمحيباته المجموعة في انية وأصاله ، قسنطينة ، 1975/1395 .

(5) Cf. M. Watt, *Islam and the integration of Society*, London 1961. L'auteur s'accorde pas l'attention nécessaire à l'aspect linguistique de la fonction d'intégration de l'Islam classique.

(6) Sur cet important concept de S. A. H. Cf. A. Touraine, *Production de la société*, Seuil 1973

7 - ان المشاركين في كل ملتقى يشيرون إلى هذه الصعوبات في الوسايا التي يجمعون عليها إشارة واضحة . ونحن نشهد بهذا الصدد أن منشورات وزارة التعليم الاصيل لا تزال قليلة، فلا تمكن من دراسة هامة للاسلام في الجزائر المستقلة .

(8) Cf. *Nos Essais sur la pensée islamique*, Maisonneuve - Larose 1973 et *la pensée arabe*, Que sais-je ? P.U.F. 1975.

(9) F. Wahl, *Qu'est-ce que le structuralisme ?* Seuil 1968, p. 305.

(10) Sur ces concepts, cf. F. Braudel, *Ecrits sur l'histoire*, Flammarion 1969, pp. 41 sv.

(11) Cf. notre essai sur *Logocentrisme et vérité religieuse...*, in *Essais*, op. cit. pp. 185 sv.

12 - للكون وجود ومعنى قبل أن يعرفهما الانسان ويميز عنهما ؛ راجع مثلاً ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فوائد الطاهون ، ودراسة

J. Sublet, *La peste prise aux rêts de la jurisprudence*, Studia Islamica, XXXIII.

13 - ينبغي لمؤرخ الفكر أن يسعى إلى أن يرآب العالم اليوناني السامي الذي صدهه صداما اعتباريا المذاهب الكلامية الدوغماتية التي اكدها تاريخ الفلسفة في جامعات الغرب . فلا يزال تاريخ الفلسفة يلقي الفكر العربي الاسلامي في « شرق » غريب عن ارتقاء « الوعي الغربي » في الحط اليوناني التصرائتي . ففي الجامعات كلها يلقي تعليم الفلسفة العربية في أقسام « الاستشراق » عندما توجد ؛

14 - لنذكر مع ذلك أن هذه المناورات ضرورية ما دامت اللغات الكلامية التقليدية أو اللغة اللاهوتية المستحدثة . تستجيب لحاجات نفسية اجتماعية . وفي الاسلام

- (17) Sur la dialectique des puissances et des rôles présents dans toutes les sociétés, cf.
H. Lebertre, *Métaphysique*, Paris 1965.
- (18) A. Talende, *Vocabulaire de la philosophie*, P.U.F., 1960, s.v. pensée.
- (19 a) Dans *La pensée arabe*, op. cit. et Comment lire le Coran ? In Le Cornat, trad.
Kasiminski, Garnier - Flammarion 1970.
- (20) Cf. les travaux de J. Van Ess, A. Khoury, M. A. Shaban, M. Watt, A.O. Udovitch,
Chéhatia, etc..
- (21) الأديب في القرآن T. Lewicki
ون هذا الوجه لنا شرح لا يزال يفتقر إلى مزيد من التوضيح والشرح .
النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء به الإسلام ، فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو المصطفى والمختار بين الناس جميعاً .
- (22) H. Monteil, Le rôle des hommes de religion dans l'histoire du l'Ispagne musulmane jusqu'à fin du califat , in Studia Islamica XX : I, Paris 1962 ; R. Idries, Réflexions sur le malikisme sous l'autorité d'Al-Shafi'i, in Revue de théologie islamique, Napoléon 1967.
- (23) C. R. Idries, op. cit. et M. Tabii, Kalimatun wa li malikiyyah fih al-Islam, in Etudes dédiées à Lévi-Provençal, I, Paris 1962 ; A. Turki, La vérification pour Malicie et la phytonomie du malikisme andalous, in Studia Islamica XXXIII.
- (24) C. Pellac, Ibn Hazm, bibliographie et apologete de l'Espagne musulmane, in Andalus 1934/I ; Voir aussi, dans le même sens, La trilogie d'Al-Sabir, trad. A. Loya in Hespele XXII, 1936.
- C. Pellac, « بؤس و حسن الاديان » : 1972 ; Note sur l'Espagne musulmane et Al-Jaziri, in Andalus, 1956.
- (26) Expression de Peter Berger dans la conscience moderne, Centurion 1971, p. 85.
- : إمام المسلمين ابن حزم بن عباد بن سالم بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن أبي طالب بن موسى بن جابر بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
- (27) ابن ابا الفتح بن عمر بن الخطاب بن مسعود بن الوليد بن خالد بن قيس بن الربيع بن الحارث بن أسد بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
- (28) Cf. J. Wackebury, Le Commandeur des croyants, P.U.F. 1975 et E. Cellner, Saints of the Atlas, London 1969.
- (29) Sur le jihad en Andalouse, Cf. D. Urvoy, Sur l'évolution de la notion de jihad dans l'Espagne musulmane, in Mélanges de la Casa Velázquez, IX, 1973 ; cette étude comporte beaucoup de notions que j'ai continuellement présentées de la pensée ; voir aussi, à titre complémentaire, E. Svan, L'Islam et la Croisade : idéologie et propagande dans les réactions espagnoles aux Croisés, Paris 1968.

(22 a) Cf. M. Askoun, *Présentation d'Ibn Tufayl, in les Africains*, tome 6, éd. Jeune Afrique, Paris 1977. Cette présentation est conçue comme une application au cas d'Ibn Tufayl, de la méthode générale définie dans la présente étude.

(30) Cf. Al-Yûsî. *Problèmes de la culture marocaine au XVII^e siècle*, Mouton 1958.

(31) Cf. A. Abdesselem, *Les historiens tunisiens des XVII, XVIII et XIX siècles*, Paris 1973.

32 - يتبين ذلك جليا من مآثورات بربرية شفهية جمعتها بنفسى بمسقط رأسى تاويرت ميمون (بنى ينى) من مرابطين محليين : ألا وهم سيدى على أو يحيى وسيدى الموهوب والى وسيدى يحيى . وقد أدى الاول خاصة دورا حاسما فى القرن السابع عشر (5) فى اخفاء نار الفتن التى كانت تمزق قبائل متناحرة وفى نشر الاسلام من يمد .

1973 ; J. Lévi-Valensi, *Fellahs tunisiens : l'économie rurale et la vie des campagnes aux XVIII et XIX^e siècles*, éd. Mouton 1977.

(33) Cf. *Pour un remembrement de la conscience islamique*, in *Mélanges H. Corbin*, Téhéran 1977.

(34) Cf. Ch. Chéhata, *Etudes de droit musulman*, I.P.U.F. 1971, pp. 11 sv.

(35) Cf. La thèse récemment éditée (S.N.E.D. Alger 1977) de A. Turki : *Polémiques entre Ibn Hazm et Al-Bâzi sur les principes de la loi musulmane* apporte de précieux enseignements, mais ignore la notion de système de pensée que nous visons ici.

(36) Pour l'Ifrîqiyya, Cf. Ch. Bouyahia, *La vie littéraire en Ifriqiyya sous les Zirides*, Tunis 1972. Il faudrait entreprendre la même enquête pour la pensée que l'auteur a malheureusement trop séparée de la littérature prise au sens étroit.

(37) Cf. L. Gardet : *La « théorie des oppositions » et la pensée musulmane*, in *Revue Thomiste* 1975/2.

خلال القرن الماضي . وذلك اعتمادا على الدراسات الفرنسية خاصة شارل فيرو الذي اخص بدراسة هذه المنطقة بتوسع في اطار تاريخه للاحتلال الفرنسي . وهذا الى حين الكشف عن وثائق جديدة قد تلقى أضواء أخرى على مثل هذه المواضيع ، ونشاط هؤلاء الزعماء .

✓ الحاج مصطفى ومحمد بن عبد السلام المقراني :

بعد ابرام معاهدة تافنة يوم 30 ماي 1837 ، بين الامير عبد القادر والجنرال بيجو ، حضر الامير عبد القادر الى اقليم ونوغة جنوب شرق مدينة الجزائر العاصمة خلال شهر ديسمبر ليتفقد الامور ، ويحاول مدنفوذه الى الشرق الجزائري . وكان من ضمن اهدافه اختيار خليفة له على اقليم مجانة والحصنة بجبال البليان والحصنة ، وتاديب التيجاني في عين ماضي الذي اظهر العصيان له ، ومال الى التعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي واعوانه (1) .

فحضر اليه بنووة كل من احمد المقراني ، ومحمد بن عبد السلام المقراني . كل منهما يرجو الحصول منه على منصب الخليفة على مجانة ، فقال الامير الى الاخير وعينه خليفة على مجانة ، وكلفه بمقاومة الفرنسيين واعوانهم بالمنطقة فالتحق بمركز عمله واعتقل غريمه احمد المقراني ، ونفاه الى الحصنة بعد ان استوثق منه بالا يعود الى مجانة مرة أخرى . ثم تصدى في مطلع عام 1838 لمقاومة الشيخ مسعود زعيم ريفة القبالة الذي يمارض سلطة الامير عبد القادر . وخلال الصدام معه خسر 25 جنديا و 75 حصانا في معركة جيل يوسف ، فغضب عليه الامير عبد القادر وعزله ، وعرضه بكاتبه الذي كان يشتغل معه بمجانة وهو احمد بن عمر من اولاد سيدي عيسى بالمدينة ، وكلف الحاج مصطفى ، واغا الخيالة الخروبي يراففته الى هناك على رأس حوالي 600 رجل و 350 حصانا ، لتنصيبه وابلاغ السكان بذلك . وقد اشترك احمد ابن عمر . والحاج مصطفى صهر الامير ، والخروبي اغا الخيالة ، في شن عدة هجمات على القوات الفرنسية واعوانها بسطيف واحوازا ، وخاضوا معركة البحيرة ، ثم انسحب الحاج مصطفى الى عين الروة ، وصدراته ، قبل ان يلتحق بالحصنة والزيبان ، وسيطر على مدينة المسيلة واخضعها لسلطة الامير اكثر من عامين (2) .

(1) الامير محمد : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر .
(الاسكندرية 1903) ج 1 ، ص 195 - 200 .

(2) Charles Fersud : *Histoire des villes de la province de Constantine* . "Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de la province de Constantine" (Alger 1872), pp. 312-314.

၂။ အောက်ဖော်ပြပါအတိုင်း အကျဉ်းချုပ်ဖော်ပြပါသည်။
 ၃။ အောက်ဖော်ပြပါအတိုင်း အကျဉ်းချုပ်ဖော်ပြပါသည်။
 ၄။ အောက်ဖော်ပြပါအတိုင်း အကျဉ်းချုပ်ဖော်ပြပါသည်။
 ၅။ အောက်ဖော်ပြပါအတိုင်း အကျဉ်းချုပ်ဖော်ပြပါသည်။

[illegible][illegible][illegible]

روايلير Rullière من الجزائر العاصمة كلفت بالاتجاه الى واد القدرة بشرق بودواي
للملاقاة قافلة الدوق دورليان وقالى عندما يصلان الى هناك بقواتهما * وجعلت القيادة
العليا لهذه القوات بيد قالى (3) *

غادرت القوات الفرنسية المعدة بقسنطينة ، مدينة ميله يوم 18 أكتوبر 1839 ومرت
بقرى : محالة ، وجميلة ، وواى الذهب ، وسطيف * وعندما وصلت الى عين الترك ،
واقاما هناك أحمد المقرانى خليفة الفرنسيين بمجانة ، بقواته التى كانت تعمل معه *
وأحاطها علما بنشاط المدعو عمار ، أحد رجال الامير عبد القادر ، وسعيه لاعتراض
سبيلها * ويبدو أن هذا الشخص هو أحمد بن عمر الذى كان خليفة للامير على مجانة *
وكان قالى عازما على المرور بقرية زمورة لمواجهة بن عبد السلام المقرانى ، فعدل
عن هذا الرأي وعزم على الاتجاه مباشرة الى مضايق البيبان ، وكلف الجنرال قابلوا
بالتوجه الى مجانة صحبة أحمد المقرانى لتنصيبه وتركيزه فى وظيفته ومنصبه الجديد ،
ووضع حد لتفرد الامير عبد القادر هناك ، وهو ما كان يهدف اليه الفرنسيون من
وراء هذه الحملة الكبرى *

وقد جد المدعو سى عمار فى محاولاته لاعتراض هذه القوات عندما تصل الى
مضايق البيبان ، فجند عددا من الاتباع والانصار وأخذ يعمل على نصب الكمان ،
وتصارع مع الضابط الفرنسى الليولطان كولونيل ميلتجن Miltgen فى نواحي
ذراع الاحمر قرب المضايق * كما أن أحمد الطيب بن سالم عامل الامير عبد القادر على
ولاية حمزة حاول أن يواجه هذه القوات عندما وصلت الى قرية البويرة (برج حمزة) ،
ولكن تفوقها اضطره الى الانسحاب الى المدينة ، وقامت القوات الفرنسية بسلب ونهب
ما فى هذه البرج من مؤن ومواد غذائية ، وبعض المدافع القديمة التى لم يتمكن أحمد
الطيب ورفاقه من حملها (4) * وقد انجر على هذا العبور لمضايق البيبان ، نقض
صلح ومعاهدة تافنة ، وعودة الحرب بين الامير عبد القادر ، وجيش الاحتلال الفرنسى
لأن الامير اعتبر هذا العبور تعديا على حقوقه وسيادته *

وفى يوم 18 مارس 1840 هاجم بضع مائات من قرسان قرية العلمة شرق سطيف ،
سكان عامر الذين يتعاونون مع القوات الفرنسية المتمركزة بسطيف ، فردت عليهم هذه

(3) أنظر دراستنا بعنوان : وثائق جديدة عن موقف الامير عبد القادر والدولة
العثمانية من الثوار المترانين عام 1871 * مجلة الثقافة ، عدد 39 ، (الجزائر - يونيو
يوليو 1977) ص 24 - 25 *

(4) Feraud : Histoire des villes (Alger 1870) pp. 95-102.

ورغم أن بن عبد السلام المقراني ، عزل من منصبه كخليفة للأمير إلا أنه لم يتوقف عن نشاطه العسكري ضد الفرنسيين وأعدائهم ، وضد غريمه أحمد المقراني خليفة الفرنسيين على مجانة ، وتمكن من طرده من مجانة إلى زمورة رغم دعم الفرنسيين له ، وسيكون هذا من ضمن الأسباب التي تحمل سلطات الاحتلال على تغيير موقفها منه ، وسعيها لانزال مركزه شيئاً فشيئاً بعد ذلك (6) *

وفي هذه الفترة قام ثوار أولاد تيان بجبال بوطالب ، وأولاد سيدي أحمد بريقة القبيلة بمهاجمة القوات الفرنسية التي جندت لمقاومة نشاط الحاج مصطفى وأعدائه خلال شهر جويلية 1840 * وكان يعسكر في مرج الزرقة غرب سطيف بحوالي أربعة مراحل ، وتجند للعمل معه كل سكان المنطقة الممتدة بين أولاد عبد النور غرب سطيف شرقا ، والبيبان غربا ، والصحراء جنوبا ، وبلزمة شرقا * ويتألف فيلقه من 700 جندي و 150 فارسا ، واتجه الأمير عبد القادر بعدة مائة من الجنود والفرسان المسلحين ، فهدد القوات الفرنسية وأحدث ارتباكاً في طرق مواصلاتها بين قسنطينة وسطيف * وخاض عدة معارك في مرج الزرقة نفسها أين يعسكر ، ثم انسحبت بعض قواته إلى جهة زمورة شمال شرق برج بوعرييج ، وانسحب هو إلى برج عين القدير جنوب شرق برج بوعرييج ، ثم إلى الحصنة جنوباً عن طريق أولاد إبراهيم بعد أن حاول الجنرال قائلوا نفسه أن يلاحقه خلال شهر سبتمبر 1840 *

وفي ربيع عام 1841 هاجم الجنرال نيقرى مدينة المسيلة ، وافتكها من عمال الأمير عبد القادر ، واضطر الحاج مصطفى أن يغادر المنطقة كلها مما جعل مركز الأمير عبد القادر ونفوذه يضعفان في الشرق الجزائري (7) *

وكانت مدينة المسيلة قد خضعت لنفوذ الأمير عبد القادر منذ عام 1838 ، وأول عماله عليها المدعو نبي ، ثم بوضياف ، وأخيراً الحسن بن عزوز الذي أصبح فيما بعد خليفة للأمير على ولاية الزيبان * وعندما عزله الأمير عن هذه الولاية في مطلع عام 1841 ، وعوضه بمحمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بلحاج ، التحق بجبال البيبان ، وحاول أن ينضم المقاومة ويتعاون مع الحاج مصطفى ، وتعرض لهزيمة في جبل صالسون ، فالتحق بمدينة المسيلة ، وحاول أن يشبع في الناس بأن الأمير عبد

(6) يحيى بوعزيز : دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871 (أطروحة جامعية مضمرة على الآلة الرقنة - الجزائر 1975) ص 44 - 47 *

(7) Fernud : IBID, pp. 109-116.

منصور بن عبيد ، وبوعكاز بن عاشور ، لمقاومته بتأييد من القوات الفرنسية في الدمامشة ، وأحرقوا قرية أولاد خلف الله المتعاونين مع مولاي محمد .

وقد حاول الشريف سى موسى أن يتعاون مع مولاي محمد فأنصل به ، واتفقا على الانتقال الى عين الترك غرب سطيف حيث بقيا هناك نصف شهر ، ودرسا مشاكل المقاومة . ثم افترقا ، فاتجه سى موسى الى بنى يعلى ، واتجه مولاي محمد الى أولاد عياض وقضى هناك فصل الشتاء ، بينما كان بن عبد السلام يقوم بجهود مكثفة لقطع الاتصالات والمواصلات في وجه القوات الفرنسية بين سطيف وبرج بوعريريج .

وقد استغل مولاي محمد تنقلات القوات الفرنسية وتشتتها بين سطيف ، وسيدى مبارك ، وعين أزال ، ومجانة ، والحضنة ، فجمع أنصاره في جبل عتيني غرب سطيف ، وزحف بهم الى سهل أولاد نايت ، وتعاون ضده كل من عمر بن واسى ، ودوايد بن كسكاس ، ولكن مولاي محمد تمكن من قتل بن واسى ، ومحمود بن موصلى قائد العلمة ، وصدراته ، وأولاد نايت منذ عام 1838 ، وحمل الثوار رأس الأخير الى مولاي محمد . وجاء هذا الانتصار ليدفع سكان عموشة ، وقسم من أولاد نايت ، الى الانضمام الى حركة الثورة مع هؤلاء الزعماء .

ويسبب نجاح المقاومة بزعامة مولاي محمد ورفاقه ، واشتداد الممارك ضد الفرنسيين ، اتجاه الكولونيل دومونتي : Dumontet على رأس قوات فرنسية الى شمال سطيف ، وواجه الشريف محمد بن عبد الله رفيق مولاي محمد في جبل مغريس ، وارغمه على الانسحاب الى بنى فوغال . غير أن مولاي محمد سرعان ما ظهر باتباعه في جبل عتيني وعين مدة ، ثم اتجه الى عموشة نفسها . وتصدى لمقاومته الكولونيل شامسلو Chasselou في ثنية طكوكة ، والكولونيل اينارد : Eynard في جبل شيلكان . وجرح خلال الصدام مع هذه القوات ، وانسحب الى غبولة في بنى شبانة ، وأظهر للناس استعدادة لاجراء الاتصال بالفرنسيين ، وفي نفس الوقت جند أنصارا جندا للعمل من سائر أنحاء البابور الى مصالته . واصطدم بالقوات الفرنسية خلال أيام 10 و 18 و 22 جويلية 1847 ، وقتل خلال الممارك مولاي الطيب .

وخلال اقامة مولاي محمد بغبولة لمعالجة جروحه ، حاول ان ينظم هجوما على القوات الفرنسية بجيجل ، فلم يوفق ، وفي نفس الوقت حاول قائد بنى يعلى بن جدو أن يدير مؤامرة لاعتقاله فوجه اليه رسولا اخطأ في اغتياله هو وقتل أحد أعوانه المقربين اليه . ويظهر أن هذه الاحداث اثرت فيه وقل اتباعه وأنصاره ، فاخفى من

الامان حسبما ذكر فيرو ، ولكنه سيظهر من جديد عام 1849 عندما تتدلع ثورة سكان الزعاطشة والشيخ بوزيان في نواحي بسكرة (11) *

وفي عام 1849 ثار سكان بنى سليمان بحوض الصومام في منطقة بجاية ، واتجه اليهم سانت أرنو ، والجنرال سال Salles على رأس قوات فرنسية وأحرقوا لهم قراهم ومدائشهم ، وتعددت المعارك في مختلف المناطق الجبلية بالمنطقة ، ثم انسحبت القوات الفرنسية الى اولاد حناش والمعاضيد ، لمعاقبة السكان كذلك ، وهي في طريقها الى الزعاطشة لمواجهة حركة الثورة هناك (12) *

حركه الشيخ بن شايبة في بوسعادة :

في خلال عام 1849 قرر الجنرال شارون Charron انشاء مركز عسكري في بوسعادة ، وفي نفس الوقت تمركز الضابط الفرنسي الميوطنان لابيير Lapeyre بهذه المدينة بمجموعة من الجرحى والمرضى من العساكر الفرنسيين ، فامتعض السكان من ذلك ، وأحسوا بأن الفرنسيين يسعون لاحتلال مدينتهم بصورة فعلية ، وأخذوا يقومون بحركات مريبة ، فاستغل الشيخ محمد بن شايبة ، هذه الظروف ، وانسداد الثورة في الزعاطشة بزعامة الشيخ بوزيان ، فأعلن الثورة والجهاد ضد الفرنسيين بين قومه من الشرفة ، وتعاون معه عدد من سكان اولاد نايل ، وأبوه أحمد الذي يقطن في قرية عين الكحلة * وعقد اجتماعات عدة مع عدد من رجال الدين بالمنطقة يوم 11 أكتوبر ، والايام التالية له *

وفي يوم 19 نشبت الحوادث داخل المدينة (بوسعادة) التي انقسمت الى صفين متعارضين ومتعادين * واعتصمت القوات الفرنسية وراء جدران الحي الذي تمركزت فيه ، الى أن وصلتها نبذات من مدينة برج بوعريبيج بقيادة الضابط بيان Pein والخليفة أحمد المقراني بمجانة على رأس 400 فارس وخيال *

وخلال نشوب هذه الحوادث ببوسعادة ، مر بها أحمد بن عمر العيساوي الخليفة السابق للأمير عبد القادر بمجانة ، وعمل على مساعدة الثوار ضد الفرنسيين ، كما مر بها الشريف سي موسى الاغواطي الذي كان قد تزعم الثورة في ساحل قبلى بسطيف ، وبني يعلى منذ عام 1845 ، ثم التجأ الى ورقلة عام 1848 * وكان بصحبته

(11) Feraud : IBID. pp. 134-142.

(12) IBID p. 144.

أحداث البابور في ربيع عامي 1856 و 1857 :

لم تنته أحداث بويغلة حتى اندلعت أحداث أخرى في منطقة البابور ، في إطار المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي . ففي يوم 7 ماي 1856 قتل شيخ خراطة بينما كان يحضر حفلة عرس ، وهو صديق للفرنسيين وعون لهم ، وعلمت السلطات الفرنسية بأن مقتله كان لغرض سياسي ، بينما أشاع السكان بأنه قتل خطأ وعرضا . ولذلك توجهت قوات فرنسية من سطيف إلى مكان الحادث ، وخربت مسجد سيدي عطية ، وأحرقت كل منازل السكان ، فزاد ذلك في هياجهم وغضبهم ، وحملوا السلاح في معظم أنحاء البابور ، وتجمعوا في مضيق واد اليرد ، وواجهوا قوات الجنرال ميسيات Maissiat حاكم قسنطينة الذي قدم بنفسه إلى المنطقة . واعترضوه في مجاز النوق ، وخلف الله ، وجبل متنانو ، وعين سلطان ، وخلال المارك طابق الفرنسيون أساليبهم التقليدية وأحرقوا القرى والمدامر ، وخربوها . ومن ضمنها تاقريوست (18) . وفي الوقت الذي اقتحمت فيه القوات الفرنسية جبال جرجرة في ماي 1857 بقيادة الجنرال راندون الحاكم العام ، انتشرت إشاعات كثيرة في جبال البابور حول نوايا الاستعمار الفرنسي ، خاصة بعد إنشاء مركز تاقيطونت العسكري . وراج بين الناس بأن الفرنسيين سيصادرون أراضيهم ويملكونها للمعمرين الأوروبيين ، ويجندون الشباب الجزائريين في الجيش الفرنسي ، فكثر تجمع الناس في الأسواق والمقاهي للتداول في مثل هذه المواضيع والمشاكل .

وكان بعض الناس قد عقدوا يوم 10 أبريل قبل ذلك ، اجتماعا في سوق السبت ، واتفقوا على مهاجمة تاقيطونت للقضاء على المركز العسكري الفرنسي الذي أقيم بها لمراقبتهم ، وعرقلة نشاطهم . واتفق الزعماء المجتمعون على إشراك سكان عموشة وأولاد يحيى في هذا الهجوم باعتبارهم مجاورين ، لتاقيطونت ، ومحيطين بها .

وفي يوم 12 أبريل نفذوا خطتهم ، وهاجموا تاقيطونت ، واضطر الفرنسيون إلى إرسال تجذات سريعة إليها من سطيف حالت دون الحاق الضرر بها من طرف الشوار (19) .

وفي عام 1859 تزعم شى الصادق ، وابنه إبراهيم ، الثورة في قرية الخنقة ، ومنطقة بسكرة بالزيبان . وفي عام 1860 تزعم محمد بن بوختناش الثورة في الحضنة ،

(18) IBID pp. 155-159.

(19) IBID pp. 161-163.

من مضيق واد درميل ، حتى يزود القوات الفرنسية بالمعلومات الكافية لوضع الخطط لمواجهةهم على أساسها *

وفي ليلة 30 سبتمبر هاجم الثوار معسكر الباشاغا ، وكادوا أن يفتكوا به لولا أن أسرع لإنجذته الليوطنان كولونيل جيبي Jailie الذي كان يعسكر بالقرب منه في عين درميل مع الكولونيل دولاكروا . وانقذه من أخطارهم . وعندما حاول أن يلاحقهم إلى جبل بودنزيل ردوا عليه بعنف ، وأرغموه على التراجع هو وقواته وبعد عدة معارك انسحب الثوار إلى ثنية عين الريش بعد أن قتلوا للعديد ضابطين ، وعدد آخر من الجنود ، إلى جانب الجرحى *

وفي يوم 12 أكتوبر 1864 هاجم الثوار معسكر دولاكروا مرة أخرى في مرتفع عين درميل ، وقتلوا له أربعة جنود ، وجرحوا حوالي 15 شخصا . وذكر فيرو أن عدد الثوار في هذه المعارك كان يقرب من أربعة آلاف رجل ، وهو عدد مبالغ فيه على ما يبدو ، وتعاون كل من دولاكروا ، والجنرال يوسف ، على ملاحقتهم إلى مجدل ، والزاهر بالجلقة وأحوازاها . وبقي إبراهيم بن عبد الله يقاوم حتى اعتقل في يوم 12 سبتمبر 1866 من طرف قائد تفرقت على ياي في بئر طوالي ، مع ابنه . ونفاهما الفرنسيون إلى جزيرة سان مارقوريت بفرنسا (22) *

أولاد بن عاشور في فرجيوة :

تقع منطقة فرجيوة بجبال البايور شمال قسنطينة ، وينتمي سكانها الاصليون إلى قبيلة كتامة المشهورة التي لعبت دورا بارزا في تاريخ هذه البلاد ، خاصة خلال العصر الاسلامي المزدهر بالاحداث والتطورات في العصر الوسيط *

ومن بين العائلات المشهورة في هذه المنطقة أولاد بني عاشور الذين ينتسبون إلى قرية واد زناتي قرب قالة . وخلال عهد الاتراك نزحوا إلى فرجيوة بالبايور ، ولعبوا دورا بارزا في احداث المنطقة . وعندما أصبح الحاج أحمد باي على رأس بابليك قسنطينة ابتداء من عام 1826 ، عين الحاج أحمد بوعكان بن عاشور شيخا على فرجيوة حوالي عام 1834 ، فاشترك معه في مقاومة الحملات الفرنسية على مدينة قسنطينة ، واتسع نفوذه شيئا فشيئا ، وامتدت سلطته على كل منطقة فرجيوة وساحل البايور ، وبني فوغال ، وأولاد عمران ، وأولاد سيدي على ، وبوزقازن ، وبلاد التورة ، والرواشد ، وبولميان ، وسواحل جيجل (23) *

(22) Feraud : Histoire des Villes (Année 1872) pp. 368-378.

(23) Feraud : Notes historiques sur la province de Constantine R. A. (Alger 1878) pp 6-10 et 81-87.

ويبدو من الحوادث أن بوعكاز كان يبحث دائما عما يمكنه من كسب ود الفرنسيين له ، ولذلك كتب عام 1844 ، رسالة الى الدوق دومال الحاكم الجديد على عمالة قسنطينة يحثه فيها على غزو جبال البابور ، وفتحها في وجه الاستعمار الفرنسي ، وأكد له بأن الناس على استعداد للخضوع للسلطات الفرنسية *

وعندما حضر مولاي محمد رفيق بومعزة الى جبال البابور عام 1846 * هاجم مركزا للشيخ بوعكاز في غبولة ، اقامه لاستقبال صهره ابن علي الشريف شيخ شلاطة ، وحصلت بينهما حوادث دامية ، وعاقب بوعكاز سكان غبولة بمصادرة اموالهم ومنعهم من ممارسة التجارة مع منطقته كما اعتادوا قبل ذلك (26) *

وخلال ثورة سكان واحة الزعاطشة عام 1849 ، حاول سكان فرجوة أن يستغلوها للقيام بالثورة ضد جيش الاحتلال الفرنسي كما أكد ذلك الجنرال هيربيون (27) ، وهنري قارو (28) ، ولكن بوعكاز فقد الأمل في تحقيق استقلال ذاتي له بفرجوة ، واقتاده الضابط الفرنسي نفو Nevets الى مدينة قسنطينة يوم 12 أكتوبر 1850 ، فرحب به سانت أرنو ، وطلب من السلطات أن تستغل نفوذه بالبابور لتركيز الوجود الفرنسي * ولم يكتف بهذا الاقتراح فأخذه معه في حملته العسكرية الكبيرة على جبال البابور عام 1851 بين قسنطينة ، والقل ، وجيجل واستعمله أداة لاختصاص السكان ، ومنحته السلطات نيشان الشرف بعد عودته ، وأذنت له بالذهاب الى الحجاز لاداء فريضة الحج حيث تغيب عدة شهور (29) *

وخلال السنوات التالية شارك الحاج أحمد بوعكاز في كل العمليات العسكرية التي شنّها الجيش الفرنسي على هذه المنطقة * ففي عام 1856 اندلعت عدة حوادث بجبال البابور وقتل الثوار ثلاثة من الشيوخ يتعاونون مع القوات الفرنسية بينهم شيخ خراطة الذي كان يتولى منصب قائد * واضطر الجنرال ميسيات Maissiat أن يقود بنفسه قوات عسكرية لمواجهة الثوار في عين سلطان ، ومنتانو ، وتاقربوست ، ويطبق

(26) Feraud : Histoire des Villes (Année 1872) pp. 126-127.

(27) Le Général Herbillon : Insurrection survenue dans le Sud de la province de Constantine. Relation de seige de Zaâtcha (Paris 1863) pp. 11-13.

(28) Henri Garrot : Histoire générale de l'Algérie (Alger 1910) pp. 383-387.

(29) Feraud : Notes Historiques, pp. 103 104 et 161.

ومنطقة البايور والدهامشة ، وعين سى أحمد خوجة على الاولى ، وسى أحمد ابن الدراجى على الثانية ، وهما من اقاربه ويمارسان السلطة تحت مراقبة السلطات الفرنسية بقسنطينة *

وقد استقبل السكان ، حسب رأي فيرو ، هذه الاصلاحات ، والتغييرات بفرح وسرور . أما بوعكاز التزم الهدوء بمدينة قسنطينة وقبل على مضض هذه الاجراءات تحت تأثير صهره ابن على الشريف شيخ شلاطة الذى حثه على قبول الوضع الجديد مهما كان . غير ان اعتباره لدى السكان ضعف كثيرا بحيث لم يعد له أي نفوذ . ولربما يكون هذا الوضع الجديد هو السبب الذى دفعه الى الاشتراك فى الثورة العارمة التى اندلعت بالمنطقة عام 1864 كما سيأتى (31) *

أولاد بن عز الدين فى الزواعة :

يقتضى أولاد بن عز الدين الى سى الناصر الذى كان قائدا على الزواعة فى جبال البايور ، تحت سلطة أحد الضباط الاتراك الذى كان متمركزا فى مدينة ميلة . وبعد سقوط مدينة قسنطينة فى يد الجيش الفرنسى ، برز الشيخ محمد (بفتح الميم الاولى) بن عز الدين كزعيم لأولاد بن عز الدين . واخذ يعمل على خلق مركز له واعتبار لدى السلطات الفرنسية . وقدم نفسه للدوق دومال والماريشال فالى عندما مرا بميلة فى طريقها الى مضائق البيبان فى أكتوبر 1839 ، وأعلن طاعته وإخلاصه ، وعمل منذ ذلك الوقت على الاستعانة بأخيه بورنان بن عز الدين ، فى تسيير شؤون منطقة الزواعة مع رجال المخزن الذين يوجدون تحت تصرفه (32) *

وفى عام 1845 نظم أولاد بنى عز الدين هجوما على أهل موية فى جبل سقاو Segau شمال شرق ميلة ، واضطر الاخيريون الى وضع انفسهم تحت تصرف السلطات الفرنسية التى عينت الحاج مسعود بن زكرى شيخا ورئيسا عليهم . وهو خصم وعدو لأولاد بن عز الدين ، وأولاد بن عاشور معا ، ولعب دورا بارزا لصالح الفرنسيين ، الذين استعملوه كدليل لقواتهم العسكرية التى هجمت مدينة قسنطينة عامى : 1836 و 1837 ، وعين قائدا على أولاد عبد النور بعد ذلك . ولذلك فان تعيينه رئيسا على أهل موية أحدث غضبا ، ولو غير ظاهر ، فى أولاد بن عز الدين *

(31) IBID (Année 1872) pp. 165-166.

(32) IBID (Année 1870) pp. 244-251.

وهد حاول أولاد عز الدين تكوين قوات خاصة لقطع الطريق على القوات الفرنسية بين سكيكدة وقسنطينة ، وتعاون معهم في هذا العمل الشيخ بلقاسم بن قبالا ، وأولاد عيدون ، وعملوا على مهاجمة معسكر سيدي مروان ، واصطدموا بقوات الجنرال هيريبيون ، والضابط يورياكي في قرية جلامة ، وجرح بورنان خلال المعركة مع عدد آخر من الثوار . وبعدما ارسل الشيخ محمد بن عز الدين رسالة الى الجنرال أخبره فيها باستعداده لوضع نفسه تحت تصرفه ، وذلك خلال شهر سبتمبر 1847 (34) .

وفي عام 1849 أسندت لبولخراس بن عز الدين قيادة القبائل المستقرة على الضفة اليمنى لواد الرمل ، غير أن باقي أفراد أسرته ، والشريف بن يمينه ، وصلوا أعمال العنف والاضطرابات في منطقة سكيكدة والحروش خلال شهر ماي ، فقرر هيريبيون غزو المنطقة من جديد ، واقتحم الزواغة في نفس الشهر ، وعسكر في فجج باينان ، بينما انسحب بورنان الى بني ميمون ، وبني رزلي ، وبني يدر ، والتجأ الشيخ محمد كبير أولاد بن عز الدين الى صديقه بوعكاز بن عاشور في فرجيوة ، وتمكنت القوات الفرنسية من تخريب قرى بني ميمون في شهر جوان ، وقتلت شيخ بني حبيبي ، واضطر زعماء أولاد بن عز الدين الى الفرار بانفسهم والاعتصام بالمنطق الجبلية الوعرة .

وعندما اندلعت ثورة سكان واحة الزعاطشة عام 1849 ، حاول أولاد بن عز الدين استغلالها لتصعيد الكفاح المسلح بمنطقة ضد القوات الفرنسية ، فاتجه بورنان الى أطراف واد أنجه ، وعين النكلة ، واصطدم بابن عمه القائد بولخراس الذي يعمل مع الفرنسيين ، وسلب له معظم ما كان معه من أمتعة ورجال .

وبعد هذا الحادث تدخل بوعكاز بن عاشور لسدى السلطات الفرنسية ، واقترح عليها في رسالة الى قسنطينة أن تعين الشيخ محمد بن عز الدين قائدا على المنطقة ، واقنع الأخير بالاتجاه الى قسنطينة في شهر أكتوبر 1849 ، ليطلب الأمان ، ويقترب اسناد قيادة له ولاخي بورنان في المنطقة .

ويظهر أن السلطات الفرنسية كانت راغبة في مصالحة أولاد بن عز الدين ولذلك أعدت مشروعا واسعا يقضي بأن يعين بولخراس قائدا على موية ، وبني تليلان ، وبني إبراهيم . والشيخ محمد الحسن قائدا على الزواغة ، وعريس ، وأولاد عسكر ، وأولاد يحيى ، وأولاد عوات . وبورنان قائدا على حوض واد الكبير . ووجد هذا

وبنصيحة من أبناء الزواغة الذين يعملون في مهن الحدادة والبناء ، يقسنطينة ، تقدم الناس فرادى وجماعات الى السلطات الفرنسية لخبارها بأمر هذه الحرائق ومطالبتها بارسال مبعوثين للتحقيق في عين المكان *

أما بورنان فقد ادعى للسلطات بأن أولاد حناش هم الذين ارتكبوا هذه الحرائق وطلب الاثن بمهاجمتهم فاذن له ، وهاجمهم يوم 10 جويلية فردوا عليه بمنف وقتلوا له بعض اتباعه ، بينما أحرق هو لهم قراهم ومنازلهم *

ولما تطور الامر هكذا تدخلت السلطات الفرنسية ، ووجهت قوات عسكرية عاجلة الى المنطقة بقيادة الجنرال قاستو ، وضعت حدا للاضطرابات ، ووبخت بورنان على ضعفه وتهاونه ، وعجزه عن اطفاء الحرائق * وأرغمت السكان على تقديم غرامة جماعية كمقابل لهم ، وكلفت زعماءهم باستخلاصها وجمعها ، ففصى بعض الناس ورفضوا دفعها ، خاصة الذين يخضعون لبورنان ، وهاجموا الشيخ بوطمين وفرسانه يومى 13 و 14 نوفمبر على الضفة اليسرى لواد الكبير *

وقد اعتبرت السلطات هذا الرفض تحديا لها فوجهت قوات فرنسية أخرى الى المنطقة تقدر بأربعة آلاف رجل قادها قاستو نفسه يوم 22 نوفمبر ومر بالواد الابيض ، وأولاد عيدون ، وأرغم السكان على احضار الضرائب اليه فى سرق الميلية يوم 26 ، وقد ذكر فيرو بأن الناس قدموا شكاوى كثيرة الى قاستو بالميلية ضد بورنان ، واقترحوا عليه عزله وتعويضه بضابط فرنسى يحكمهم بصورة مباشرة ، فأمر فى الحال ببناء مركز بالميلية عين قيه الضابط سان مار Saint-Mars (37) *

وخلال الحرب الايطالية ، وغياب القوات الفرنسية وضباطها عن الجزائر للمشاركة فيها ، انتشرت بين سكان البايور ظاهرة التمرد والعصيان ضد السلطات الفرنسية ، ولوحظ اهتمام الناس باقتناء الاسلحة والبارود ، ورفضهم لدفع الضرائب خاصة أولاد عسكر ، وأولاد بن عز الدين ، وأولاد يحيى (حيا Haia) ، وذلك خلال شهر جوان 1899 * ولذلك اتجهت قوات فرنسية الى هناك بقيادة الضابط لوفيفر Lefebvre ، والصبايحي بن نمان ، واكتشفت أن سبب الاضطرابات ومصدرها هم أولاد بن عز الدين ، وعلى رأسهم بورنان زعيمهم * فاستعملت القوة فى اعادة الهدوء واستخلاص الضرائب ، وملت القبض على عدد من الذين اعتبرتهم المرتكبين الحقيقيين

(37) نفس المصدر ، ص 329 - 333 *

أولاً : تأثير ثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني التي اندلعت بالببيض وانتشرت في معظم الجزائر الغربية والوسطى ، ووصلت تأثيراتها الى الشرق الجزائري

ثانياً : تأثير ثورة علي بن غداهم بتونس ضد الباي الذي أصبح لعبة في يـد القناصل الاجانب ، ووصلت تأثيراتها عن طريق الحدود الشرقية الجزائرية ، خاصة مدينة الكاف *

ثالثاً : بروز عدد من رجال الدين والمقدمين الرحمانيين بالمنطقة ، وحثهم الناس على حمل السلاح والقيام بالثورة ضد جيش الاحتلال وادارته ، ومن بين هؤلاء :

– الحاج حجوج بميلة الذي ادعى للناس بأنه تلقى تعليمات في السنة الماضية بالحجاز خلال قيامه باداء فريضة الحج من طرف نائب السلطان العثماني ، بأن يقوم بالثورة ضد الاستعمار الفرنسي *

– والشيخ بوقرين في اولاد عبد النور بقرية كارب الذي يعمل لصالح اولاد بن عز الدين ، واولاد بن عاشور مما * وسمى لتهييج الناس ودفعهم الى الثورة *

– والشيخ مولاي محمد مقدم الطريقة الرحمانية بالمزواغة الذي كان من رفاق بومعزة ، وله انصار في مدينة قسنطينة نفسها ، فعمل على تجنيدهم ودفعهم الى الثورة في الاجتماع الذي عقده يوم عيد الفطر لعام 1281 الموافق 10 مارس 1864 بدار الحمراء مقر اقامته * واخبرهم بأنه بعد ثمانية ايام ستندلع الثورة * وقام بولخراس باستضافته وكل زعماء الحركة الذين كانوا يعدون للثورة ومنهم علاوة ، وعبود ، ابننا بورشان (39) *

وعندما بدأت هذه التحركات والاجتماعات ، عقد زعماء اولاد بن عز الدين ، واولاد بن عاشور ، عدة اجتماعات فيما بينهم لتنسيق العمل رغم الخلافات التي كانت موجودة بينهم سابقا * ولعب المقدم الرحماني مولاي محمد بالمزواغة دورا بارزا في الدعاية والاثارة ، وتحسيس الناس على حمل السلاح * وفي يوم 18 مارس تجمع الثوار في قج باينان * واسرع الحاج بن عز الدين قائد بني يدر الى منزله ليحصل السلاح والرماح * واشمل الثوار الثيران في الربوات ايذانا ببداية الحوادث ، وكانوا يعدون بالمئات ، ونزلوا الى برج القائد حمو بقرية الزغاية الذي خلف بورنان في منصبه بعد نفيه ، واحرقوه في غيابه * وقتلوا بعض الناس المعارضين لحركتهم *

(39) نفس المصدر ، ص 166 – 167 و 341 – 347 *

• 349 - 347 هـ ، ص 353 - 349 .
 • 40 هـ ، ص 347 - 349 .

والرشيعة ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى

والرشيعة ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى

والرشيعة ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى

والرشيعة ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى
 وادى ، وبنى من اى ، وخرجت محلاته ، واصطبل الماشية ، وانما كان في بعضى

العمال الذين كانوا يقومون بشق الطريق في شعبة الاحرة بخراطة بين سطيف ،
وبجاية ، بعد أن أصبحوا مهددين بالاختار ، ووجههم الى تاقيطونت ، وهدد الثوار
زماله قائد اولاد صالح بعموشة ، واحرقوا منزله يوم 14 نوفمبر . وهاجموا برج
تاقيطونت يوم 24 نوفمبر ، وعضدهم سكان جرمونة ، وبنى مزى ، وبنى اسماعيل ،
وكل منطقة تايابورت .

وفي اوانل شهر ديسمبر حاول القائد بن حبيلس أن يجدد محاولاته لاستخلاص
ضرائب الحرب من سكان الريشية فهاجمه السكان وارغموه على الانسحاب ، وادى
عمله هذا الى امتداد الغضب ، والثورة الى اولاد عمر بفرجية الذين قتلوا شيخهم ،
وحاولوا حمل سكان سوق الاربعاء على حمل السلاح معهم . وتمكن ثوار قرية الريشية
من تخريب قرية الدهامشة يوم 14 جانفي 1865 . وهاجم ثوار بنى مراي ، برج القائد
حمو او عاشور يوم 24 جانفي ، وخرّبوا محطة العمل في شعبة الآخرة . وارغموا
العمال والحراس على الانسحاب الى تاقيطونت ، وحصلت بينهم وبين بنى اسماعيل
بعض المشاكل .

وفي يوم 8 فيفري حاول القائد بن حبيلس للمرة الثالثة ، ان يستخلص ضرائب
الحرب من بعض السكان ، ففشل واضطر أن ينسحب الى قرية أربعون وهاجم الثوار
يوم 18 من نفس الشهر ، خصومهم من بنى اسماعيل ، وبنى تيزي ، وجرمونه ، كما
هاجموا مؤسسات الاوروبيين في أوّاس شرق بجاية وامتدت حوادث الثورة الى دائرة
جيجل . وعمل الثوار على محاربة القائد السعيد بن عبيد في ذراع القايد ببني
سليمان وساحل قبلي لانه يقوم بنشاط معاد لهم مع ضابط المكتب العربي . واستعان
الضابط الفرنسي سان فوا : Saint-Foix بالقواد : بوزيد بن يلس ، والزرزوق بن هني
ودواي بن كسكاس ، في انجاد الدهامشة (42) .

وفي يوم 6 مارس اندحرت ثلاث فرق من الثوار ، من جبال البابور ، ويتنمون الى
اولاد صالح ، وبنى مراي ، وبنى فلكاي ، وجرمونة ، وبنى تيزي ، وبنى اسماعيل ،
وعموشة . قاتجه ثوار اولاد صالح وثور البابور ، وعموشة ، الى الدهامشة ،
وهاجموا برج القائد السابق سي زادي الذي تصدى للدفاع عن الدهامشة ، واحرقوه
وخرّبوه بعد أن قر منه صاحبه ، ومن كان معه من الاتباع .

• 177 - 173 - ص 173 ، ص 173 ، ص 173 (43)

• . في سنة 1870 ، لم يبق من سكان القرية إلا ما يقرب من 100 شخص ، وفي سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص ، وفي سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص .

• . في سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص .

• . في سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص .

• . في سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص .

• . في سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص .

• . في سنة 1865 ، بقي من سكان القرية ما يقرب من 100 شخص .

أما أولاد بن عز الدين فقد نفوا الى مدينة كورتى Corté بشرق جزيرة كورسيكة ، وتوفي عبود ، وسمح لبولخراس ، والحاج بالاتجاه الى تونس للاستقرار بها مع بعض افراد عائلتهما الذين نفوا الى هناك منذ عام 1860 *
وبهذا الاسلوب تخلص الفرنسيون من هاتين العائلتين ، وهو الاسلوب الذى سيستعملونه مع العائلات الاخرى المشابهة لوضعهما خلال الثورات المقبلة خاصة عائلتى المقرانى والحداد بعد ثورة 1871 (44) *

(44) نفس المصدر ، ص 168 - 169 و 348 * وللمزيد من المعلومات عن ثورة الزواغة وفرجيوة أنظر : يحيى بوعزيز : ثورات سكان الزواغة وفرجيوة والبايود ضد الاستعمار الفرنسى وقضية الحاج بن عز الدين * الثقافة ، عدد 40 * (الجزائر أوغسطس ، سبتمبر 1977) ص 11 - 21 *

جنورها وتفرعت أغصانها ، ثم اثمرت وأبنت أخيرا • وبذلك تمكنت من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه بالشرق مكان الدعوة الاصلى • واتخذت من سكان المنطقة وامكانياتها الاقتصادية والعسكرية - كما ذكرنا - وسيلة لتحقيق مطامحها المذهبية والسياسية •

لقد لعب المغرب الاسلامى وسكانه دورا تاريخيا هاما فى مجال الحضارة الانسانية بصفة عامة قديما وحديثا والاسلامية منها بصفة خاصة • فمنه انطلق الفتح بقيادة طارق بن زياد الى الاندلس التى ازدهرت فيها الحضارة الاسلامية ايام ازدهار • ومنها انتقلت الى أوروبا • ومنه فتحت أيضا عدة جزر فى الحوض الغربى من البحر المتوسط كصقلية وسردانية وكريت • وجنوب إيطاليا وغيرها حتى اصبح الاسطول الاسلامى ، يتحكم فى مصير هذا البحر فى عهد الخلافة الفاطمية التى بدأت دعوتها كما ذكرنا فى ايكجان بفج الاخيار • وقد قار ابن خلدون بشأن صولة الاسطول فى هذا العهد • « وكان أبو القاسم الشيعى وأبناءؤه يغزون بأساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة فتتقلب بالظفر والفتية ••• وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالى الشرقى ••• وأساطيل المسلمين قد ضريت ضراء الاسد على فريسته ، وقد ملأت الكثير من بسيط هذا البحر عدة وعددا فلم تسبح للنصرانة فيه السواح ••• » (4)

ومن بلاد المغرب الاسلامى أيضا انتشر الاسلام فى مناطق شتى من القارة الافريقية ، وذلك فى عهود مختلفة ويقول جرجى زيدان بهذا الصدد منها بالدور الذى قام به سكان المغرب : « وللبربر فضل كبير فى نشر الاسلام فى أواسط افريقيا مثل فضل الاثراك فى نشره فى أواسط آسيا » (5)

ولكن لما كان المغرب الاسلامى تفصله عن مركز الخلافة بالشرق مسافات بعيدة وان اهله عرفوا بالشجاعة فى الحروب ، والميل الى التمرد على السلطة المركزية ، خاصة اذا ما لحقهم حيف لانهم الفوا الحرية الفردية فكثيرا ما قامت فيه الثورات منذ وقت مبكر فى وجه بعض ولاة الخلافة • كما قصدته الجماعات المعارضة من خوارج وشيعة وتمكن بعضها من نشر مذاهبها واتشاء كيان سياسى لها ويتمثل ذلك فى قيام امارة بنى مدرار بسجلماسة جنوب غرب المغرب الاقصى حاليا منذ سنة 140 هـ ، وهي امارة بربرية على المذهب الصفوى • وكذلك قيام الامارة الرستمىة الاباضية بتيهت فى المغرب الاوسط (الجزائر) سنة 161 هـ • والامارة الادريسية بفاس فى المغرب

وانتقلت اليها ، وانشأت بها حضارة معتبرة من مآثرها انقاهرة والجامع الازهر *
فشارتها الاولى انطلقت من فج الاخيار بالشرق الجزائري ، ثم اخذت تقسع وذلك
بفضل رجال قبيلة كتامة بالدرجة الاولى *

لقد وقع اختلاف بين الباحثين في اصل هذه القبيلة ، ولكن الراجح انها من البربر
البرانس الذين يستوطنون شمال المغرب الاسلامي في الغالب (8) * وهي من اقوى
القبائل وأكثرها عددا وعدة وموطنها الممتد بين بجاية وعنابة ، هو منبعث الدعوة
الاسماعيلية. ومهدا الاول ، ويمتاز بحصانته الطبيعية واستراتيجيته العسكرية ،
فهناك الجبال الكثيرة والشعاب الوعرة التي تساعد على حرب المصائبات * وكثيرا
ما وقعت شامخة في وجه العدو الخارجي *

انطلقت الدعوة الاسماعيلية في الاخيار الى المناطق المجاورة كميلة وجيجل
وسطيف وغيرها وتعتبر الحصانة الطبيعية لهذا المكان في مقدمة العوامل التي جعلت
الشيعة يختارها مقرا له ويجعل فيه مركز دعوته ودار هجرته * ومنه جند الجيوش
واخذ يفتح المدن ويوجه الحملات العسكرية ضد بني الاغلب ولواتهم * ثم ضد
الرستميين وبني مدرار والادارسة بفاس * ففي هذا المكان اشتد ساعد الدعوة وكثر
اتباعها وانتصر الداعي الاكبر على خصومه واستطاع ان يخلق من الضعف قوة
في زمن قصير *

لقد كانت بلاد كتامة من اصعب المناطق من قبل ظهور الاسلام * ولاشك ان هذا
ما جعل موسى بن نصير اثناء الفتح الاسلامي يجمال أهلها ، ويعاملهم بلين ومرونة ،
حيث اولى عليهم رجلا من رجالهم واخذ رهائن من خيارهم خوفا من الثورة عليه *
كما كانت مهدا للثورات والاضطرابات من قبل ظهور الدعوة الاسماعيلية وبعدها *
ولمجا لبعض المعارضين على بني الاغلب منذ منتصف القرن الثاني الهجري (9) *
وقامت فيها ايضا اول ثورة على عبيد الله المهدي الخليفة الاول الفاطمي (297 - 332 هـ)
لما قتل داعيه الاكبر ابا عبد الله الشيعة سنة 298 هـ وقد قاد تلك الثورة زعيم كتامي
يقال له المارطي ، وامتنعت ايضا من دفع الضريبة المالية التي اراد المعز الفاطمي
فرضا لما عزم على الرحيل الى مصر سنة 361 * واضطرت على ان يتراجع عن ذلك
القرار أخيرا (10) *

وحتى في العصر الحديث فان الفرنسيين اثناء احتلالهم للجزائر لم يقصدها
مبكرا * وذلك نظرا لمناعتها وشدة مقاومة أهلها وواجهتهم بها عدة ثورات وانتفاضات.

يلتف الناس حوله ، كما استعلا مختلف الوسائل ، ومنها المصاهرة لكسب عطف وتأييد السكان خاصة وأنهما تسترا بالدعوة لآل البيت (II) وأصبحت بعض المناطق التي قصدتها مثل قسطنطينية مركز الانطلاق لدعاة الاسماعيلية فيما بعد الى جهات أخرى مما يدل على أن جهودهما أنتت ثمارها ، وقد توجه أحد الدعاة الى (بنى ماغوس) جبيل درن ، وهو الاطلس الكبير حاليا في المغرب الأقصى ، واسمه محمد بن ورسند ، يدعو الى المذهب (I2) وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى مرونة هذه الدعوة وتدرج القائمين بنشرها مرحلة بعد أخرى مع مراعاة الظروف والاحوال ، حيث استعملوا نظام اللامركزية ، فتعددت مراكز انطلاق الدعاة للتبشير بها وأصبح لها أتباع ومريدون . ولما جاء الداعي الأكبر وجد الجو مهيأ فقام بإحيائها وتعميمها وتعميقها فأنتت أكلها على يديه وحقت أهدافها .

ب - الدعاة على يد أبي عبد الله الشيعي : مر كفاحه المرير من أجل انشاء الخلافة الفاطمية بمرحلتين داخل بلاد كتامة وخارجها . وكل منهما لها مميزات وأساليبها وظروفها الخاصة .

1 - مرحلة الكفاح داخل بلاد كتامة : لقد اتصل الشيعي بحجاج كتامة في موسم الحج ، وبواسطتهم أخذ بعض المعلومات الضرورية عن الاوضاع السياسية ، والاجتماعية والعسكرية ببلادهم ، ولما تراءت له بوادر النجاح توجه معهم .

كان الشيعي قبل توجهه الى بلد كتامة مقيما بالكوفة عاصمة الشيعة ، ومنها بعثه محمد الحبيب امام الاسماعيلية الى ابن حوشب داعي اليمن ليتدرب عليه . أو أنه من صنعاء اليمن ، ومنها توجه الى عدن لاعة ، واتصل بابن حوشب المذكور ، وصار من أكبر أتباعه ، وهو الذي بعثه الى المغرب الاسلامي وذهب البعض الى القول بأنه من البصرة وكان محتبسا بها ويقوم في نفس الوقت بتعليم مذهب الامامية ، ولذا عرف بالمعلم فاتصل بمحمد الحبيب فلما رآه غزير العلم والمعرفة بعثه الى ابن حوشب ليتدرب عليه ، ثم يذهب الى بلد كتامة . وعلى هذا فإن امام الاسماعيلية خصص له المكان الذي يتجه اليه (I3) والراجح أنه كوفي الاصل ، لان الكوفة هي عاصمة الشيعة فس المعقول أن يكون من أهاليها ومن المتشبعين بالمذهب الاسماعيلي حتى يكون محل ثقة .

لقد اشتهر الشيعي بالذكاء والتدين . كما كان عالما يعلم تأويل ظاهر القرآن وباطنه ، وقد أوصاه محمد الحبيب لما بعثه الى ابن حوشب بالاعتدال بسيرته وتطبيق

(وهم له طاعة فى معصية) . وسألهم عن يرجع اليه أمرهم ، فأجابوه بأن كلا منهم فى نفسه عزيز . ولهم أكابر فى كل قبيلة ، ومعلمون يستفتونهم فى أمورهم الدينية والدنيوية ، ويحكمون اليهم فيما جد من المشاكل والخصومات وأخبروه بمناعة بلادهم وكثرة رجالهم ، وأنهم يملكون الذخير والسلاح حيث قالوا له : « به نفتخر وإيساه نعتد لحاجتنا » (18) وبعد هذه الاسئلة اطمأن الى امكانياتهم المادية والعسكرية ، زيادة على ضعف سلطة بنى الاغلب عليهم . وتأكد بأن الاوضاع السياسية فى بلادهم تساعد على النجاح فازداد ميله اليهم ، وقرر فى نفسه أن يتوجه معهم .

ولكى يتأكد من استعدادهم للانقياد له تظاهر لهم بأنه قاصد مصر ليشغل فيها بالتعليم فرغبوا فى المسير معه ، ورغبوه فى التوجه معهم وقالوا له : ما ترى انك تجد بلدا أجدي عليك فى التعليم من بلدنا ، فتظاهر لهم بالتردد ، ولكنه فى حقيقة الامر يدرس نفسياتهم ، ويختبرهم ليرى مدى جديتهم فى الموضوع . وقد حث بعضهم بعضا على ترغيبه فى المسير معهم ليفأخروا به بقية القبائل الاخرى واعتبروه كنزا لا يفنى ، وصاروا يلحون عليه فى ذلك قائلين : « عندنا كثير من اخوانك ممن يذهب الى ما أنت عليه » ومعنى هذا فانهم كانوا يعرفون مذهبه ، ويرى البعض بأن حجاج كتامة يابعوه فى موسم الحج بالامر والطاعة ، وأمره على انفسهم ، فسار معهم الى بلادهم (19) - ولكن هذا بعيد الاحتمال لعدة اعتبارات ، منها أن الحجاج الذين التقى بهم لم يكونوا يمثلون كل كتامة . كما أنه يستبعد أن يطلعهم على حقيقة أمره ، لان مخالطته لهم لا تزال سطحية ، فلا يامن جانبهم أثناء الطريق ، خاصة وأنه عرف بالذكاء والدهاء السياسى ، فلا يعقل أن يتسرع ، ويكشف ما فى نفسه لاناس لم يخالطهم طويلا . وطريقة محفوف بالاحطار من طرف العباسيين .

لقد سار معهم من الحجاز على اساس أنه سيقم بمصر ، وإثناء الطريق ازدادت معلوماته عنهم ، فصاحبهم الى بلادهم ، ولما وصلوا حد افريقية ، لم يقصد القيروان ، بل سلك الطريق الصحراوى الى بلاد قسطنطينية ، وبمنطقة تسمى سوجمار من ارض سماتة تلقاه أهلها ، وبينهم جماعة على المذهب الاسماعيلى منهم رجل يقال له أبو المفتش ، وآخر يقال له أبو عبد الله بن الاندلسى ورغب المستقبلون فى استضافته حتى اقترحوا عليه - كما يقول القاضى النعمان - ووجد عند أهل سماتة أصلا قويا من علم الشيعة . وقد نظر اليه أبو المفتش وقال له : « والله لاطنك صاحب البئر الذى يذكره الحلوانى فكشف أمره فى تلك الليلة لابن الاندلسى وغيره » (20) - ولكن هذا

ناقل عن ابن خلدون - ولاشك ان تحديد دخوله بلاد كتامة بهذا التاريخ غير منطقي وذلك لوجود نشاط له بها قبل هذا التاريخ - ولذلك يرجح ما ذكر له ابن الاثير -

تزل الشيعة في بلاد كتامة عند بنى سكتان بفج الاخيار - وبدا اتصالاته ، واستمالة القلوب اليه حيث اخذ يشيد بفج الاخيار وأمله قائلا « والله ما سمي هذا الفج الا بكم - وقد جاء في الحديث ان للمهدى هجرة تنبوع الاوطان - في زمان محنة واقتنان ، ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان فانتم هم كتامة وبخروجكم من هذا الفج سمي بفج الاخيار » (25) ، بحيث عرف كيف يستميلهم اليه وذلك باطرائهم ، والاشادة بماضيهم ورفع مكانتهم ، كي يلتفوا حوله ويؤازروه و سرعان ما اقبلوا على دعوته فصار يأخذ العهد عليهم بالاخلاص للمذهب والتفاني في الدفاع عنه - وتوارد عليه البربر من انحاء مختلفة وانتشرت دعوته في كل انحاء كتامة واستحكم امره (ولم يبق فيها الا من يدخل دعوته اما راغبا واما راهبا او مخدولا) (26) وعظم امره وكثر اتباعه باستمرار .

ان منطقة ايكجان التي استقر فيها الشيعة اول الامر تمتاز بوعورتها وحصانها الطبيعية . وقد اختلفت آراء الباحثين بشأنها - قال الادريسي عنها « وبقر سطيح جبل يسمى ايكجان به قبائل كتامة » وحدد المسافة بينه وبين بجاية بمرحلة ونصف (27) - ولكن ابا الفداء اتفق معه في التسمية واختلف عنه في تحديد المسافة التي بينه وبين بجاية حيث اعتبرها مرحلتين (28) ، وبالطبع فان كلا منهما يقصد بهذا المنطقة التي استقر فيها الشيعة والتي بنى بها دار هجرته - اما ياقوت الحموي فاطلق عليها اسم « انكجان » و « ايجان » (29) ، وسماها احد المؤلفين المحدثين باسم « تزايجان » وقال بانها محل اجتماع الحجاج من الاندلس وشمال المغرب الاقصى (30) ولكنه لم يبين سبب هذه التسمية ولماذا كانت مقر اجتماع الحجاج مع انها ليست بحرية حتى ترسو بها السفن بالاضافة الى وعورتها ؟ كما انه لم يعلل سبب هذه التسمية - وحددها آخر بانها تقع قرب بنى عزيز بتواحي فج مزالة (31) ، وقد استبدل اسم فج مزالة الآن باسم فرجيوة وهي احدى الدوائر الهامة في ولاية جيجل والتي كانت تعرف باسم « فج الاخيار » كما ذكرنا .

ويعد استعراضنا لمختلف الآراء حول منطقة ايكجان سواء من حيث النطق بها او من حيث المسافة التي بينها وبين بجاية ، فاننا نرجح ما ذكره الادريسي لانه مغربي تنقل في مختلف ارجاء المغرب الاسلامي وبالتالي فهو ادرى بما يتعلق باموره اكثر

التعليق

- 1 - الاسماعيلية احدى فرق الشيعة العلوية ، وتنسب الى اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
انظر بشأنها : النويختي ، فرق الشيعة ، ص 57 . الشهرستاني ، الملل والنحل ، 1 : 2، 195 : 1، 28 : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 2 : 405 ابن خلدون ، المقدمة ص 348 .
- 2 - تمتد بلاد كتامة من بجاية غرباً الى عنابة شرقاً ، ومن البحر شمالاً الى حدود جبل اوراس جنوباً ، انظر : اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص 351 ، الادريسي ، وصف افرقيا الشمالية والصحراوية ، ص 167 ، ابن خلدون 6 : 301 .
- 3 - تمتد حدود المغرب الاسلامي من برقة شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً .
ولزيد من المعلومات انظر : اليعقوبي ص 342 الاصلحري ، المسالك والممالك ، ص 33 ابن حوقل ، صورة الارض ص 64 . ابن خلدون 6 : 23 ، 213 .
- 4 - المقدمة ، ص 150 ، 151 .
- 5 - تاريخ التهذبن الاسلامي ، 5 : 502 . ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ 1 : 124 .
- 6 - ابن عذارى ، 1 : 196 ، 196 .
- 7 - صورة الارض ، 94 ، 95 .
- 8 - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص 296 ، ابن خلدون ، 6 : 192 ، 301 .
- 9 - ابن عذارى ، 1 : 41 ، 77 .
- 10 - نفسه ، 1 : 166 . خطط المقرئ ، 1 : 352 .
- 11 - القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص 55 ، 58 ، 59 . ابن خلدون ، 3 : 769 ما جد ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص 85 .
- 12 - البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 147 ، 160 .
- 13 - القاضي النعمان ، ص 62 ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، 6 : 127 ابن عذارى ، 1 : 125 ابن خلدون ، 4 : 66 .
- 14 - ابن الاثير ، 6 : 127 الاتاكي ، النجوم الزاهرة ، 3 : 124 .

- [illegible]

جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر

عام 1903 م - 1322 هـ

المهدي البوعبدلي

باحثة في التاريخ ، مكلف بمهمة
في وزارة الشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم ،

حضرات الاخوة الكرام ان موضوع هذه المحاضرة هو جوانب مجهولة من آثار زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر 1322 هـ جريّة الموافق 1903 م ، تواصل في محاضرتنا هذه حديثنا السابق المتعلق بطوار السلفية في الجزائر وترجمة حياة أحد روادها وهو عبد الرحمن الإخضري الذي تحدثنا عنه في المحاضرة السابقة وتحدثنا في ظهور السلفية وتطورها في بلاد المشرق والمغرب وطريق تسربها الى الجزائر ابتداء من القرن الثامن الهجري كما ذكرنا ان السلفية التي تسربت الى الجزائر كانت على طريق الفقيه ابي الحسن الصغير او الصغير الزرويلي المتوفى حوالي 720 هـ .



كان أبو الحسن الصغير الزرويلي هذا معاصرا لابن تيمية الا أن سلفيته كانت في إطار المذهب المالكي وشعارها محاربة البدع كيفما كانت وكيفما كان دعائها ولم ادر

محاضرة القاها في المركز الثقافي الاسلامي بالعاصمة بتاريخ 18 جوان 1974 م .

جملة من اتصل بهذه اللجنة الطبيب محمد بن العربي العضو بالمجلس البلدي في العاصمة والشيخ محمد بن رحال النندومي قدم النائبان المذكوران مطالب كانا يريانها مستعجلة تتلخص في اصلاح التعليم وتمريبه واصلاح الضرائب والقضاء ، ثم تكلموا على ما تبقى بالربيع واسترجاعه اذ كانت هذه القضية اثرت سنة 1896 م ، عندما زارت الجزائر لجنة بحث برلمانية تحت رئاسة المارشال (رندون) وستحدث عنها اذ لها علاقة بموضوع بحثنا كانت احباس الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي قدرت في اواخر العهد التركي ياربعين مليون فرنك (40 مليون) وكان نصيب عاصمة الجزائر منها سبعة ملايين (7 ملايين) يتفق ربهما على مائة وخمسين مسجد (150) ، وفي سنة 1892 م عند زيارة لجنة (جول فيري) كانت ميزانية الوظائف الدينية الاسلامية ستين ألف فرنك (60 ألف فرنك) وتشمل هذه الميزانية مرتبات السلك الديني الذي كان من بين افراد المدرسون . وقد بين النائبان سوء نوايا المتصرفين وعنصريتهم عندما قارن بينما كان يخصص للكنيسة من هذه الميزانية وضرب مثلا لذلك ان مرتب المفتي كان ثلاثة الف فرنك (3000 فرنك) ومرتب الاسقف ثلاثين ألف زيادة على القصر زيادة على القبر الذي اقيم من اجله كما تكلم النائبان المذكوران على المؤسسات الخيرية التي كانت تعرف بالفتكية وقد بلغ ربهما السنوي بعد الاحتلال مباشرة بمائة وعشرة الاف فرنك (110000 فرنك) وكان عدد الفقراء الذين توزع عليهم صدقاتها سبع مائة (700) وفي تلك السنة أي سنة 1892 م وصل ربهما الى (40 ألف فرنك) اربعين ألف فرنك بينما تضخم عدد الفقراء من سبع مائة الى خمسة عشرة ألف (700 الى 15000) كما اثارا قضية اخرى وهي مؤسسة خاصة للمرحوم القنمي ولتعتذر على عدم امكان التطويل باكثر من هذا وانما ذكرنا هذه الفقرات لمبين ان سكان الجزائر لم يكونوا على الحالة التي لفتها بعض الكتاب ولا زال الكثير منهم يرددونها الى اليوم من ان الجزائر كان يسودها الخمول والجمود واللامبالاة زيادة على الجهل الذي كان رابضا اترابه ولا زالت السجلات التاريخية الرسمية تثبت كثيرا من مواقف امثال هؤلاء النواب وابن رحال هذا شخصية لامعة اعملها الخلف فانه زيادة على موقفه هذا شارك في مؤتمر المستشرقين المنعقد ببباريس سنة 1897 م ، وقدم دراسة قيمة موضوعها مستقبل الاسلام يعجز عن كتابتها والتصريح بما فيها كثير من المعاصرين كما كان اول الدافعين على التعليم العربي واقترح في مجلس النيابات المالية بعد الحرب العالمية الاولى جلب الاساتذة من المشرق وقد اتصل بهم مستشرق (غستاف لوبلان) والزعيم اليساري (كارل ماركس) الذي زار

[illegible]

اثارك الحميدة وارائك المستقيمة السديدة جئت على حين تصرف الناس بلا قيد ولا زمام وانتهكوا حمى المحارم كان لم يكن عندهم للشرعية ذمام ولم يراعوا ما فى طيها من صلاح المعاش والمال فتقطعت بهم الاسباب وتلاعبت بهم الاهواء فى كل واد فلما زاغوا ازاع الله قلوبهم واحاق بهم مكرهم وذنوبهم فاصبحوا وقد تقلص منهم ظل العمران والنوع وانقلب بساط الحضارة والرفاهية وانطوى وتناولتهم النوائب بالمحارب والبستهم وسوك الثعالب فعظمت بلواهم وانتقضت قواهم وانلحت عراهم وخسروا دنياهم وآخراهم وخطبوا فى لياالى الخطوب الحوالك وهلكوا ان لم يهديهم الله الى اقنوم المسالك * الى ان يقول :

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| لله درك خير الدين من علم | أبدى منار الهدى للناس فى الامم |
| نهجت نهجا قويا يهدى سالكه | الى السياسة او ينجى من الفتن |
| بينت من طرق السداد اقنومها | وقمت منتصرا للدين والوطن |
| نصيحة تلك حق شكر بانلها | ومنة منحت من اعظم المنن |

الى آخر القصيدة المحتوية على خمسة عشرة بيت (15) ويختم تقريره هذا ببيان الاسباب الداعية اليه فقال : فخذها اليك من قلم تكلم من غير دهن وصدى عاصفات الحق ومن صدع ولهش ولا تبسم فى وجه لئيم قط ولا بش ولا انذرت التقارير ولا حذرته شتم التخلف اعلانات المعارض ولا الجاته الضرورة ان يتعد ميسورا ويتجاوز مقدورا ولا مترقبا ترويح وصفاته وتجويز وموضوعاته ومؤلفاته ولا مترجيا اصفاء مصافاته وتمجيل مكافئاته ولا متصنعا ولا منتظعا بل محبا محقا متطلعا شهادة عادلة وعلى الحق ليست عادلة تكاد شوقا اليك ان تسمير قبل التحام وتطير مع القطى والحمام على ما بها من انتصار الخاطر الخ .. وهي طويلة وانى صغتها هنا لاسباب اخرى وقد كتب هذا التقدير فى اواخر ربيع الثانى عام 1286 هـ واننا اشرنا الى بعض فقراته التى هي زيادة على تصوير صاحبها لمناخ اليلال الذى أعقب الاحتلال فانها فيها دلالة واضحة على مواقف بعض رجال الفكر فى تلك الظروف القاسية فلم يقتصر نشاطهم على حويزات أنفسهم بل كانت مجالات نشاطهم واسعة حيث ساهموا فى تتبع تطور الحركات العلمية والسياسية داخل اليلال وخارجها وسجلوا ليلادهم الجمع بين الجهاد بالسيف والقلم حيث كانت فى عهدهم الثورات متتالية وهذا التقرير زيادة على ما ذكرناه هو من روائع النثر الفنى نكتفى بهذا القدر ولنرجع الى الحديث عن زيارة محمد عبده *

« لوتان » الزمان وجود حزب اصلاحي كبير ينتمى اليه ونستطيع أن نذكر أيضا من أنصار تجديد الامام في الجزائر الشيخ محمد بن الخوجة وهو مؤلف كتب اسلامية عديدة وكذلك الشيخ عبد الحليم بن اسماية ، ثم ذكر عثمان أمين في موضوع آخر من الكتاب أن من جملة تأليف ، بن الخوجة تقريباً لتفسير سورة والعصر لعبد الله بن عبد الحليم بن اسماية أنه مدح عبده بقصيدة بليغة وقد نشر التقرير والقصيدة المتار . انتهى ما ذكره الدكتور عثمان أمين هذا جل ما عرفه القراء من هذه الزيارة ولنشرع في الحديث عن الجوانب المجهولة من هذه الزيارة وهي التي ذكرها عبد الحليم بن اسماية في رسالة اجابة لزميله مفتي وهران الشيخ علي بن عبد الرحمن المشهور بالجزيري أي نسبة الى العاصمة تخرج علي بن عبد الرحمن من مدرسة العالم الشيخ حميدة العمالي المتوفي بالعاصمة سنة 1290 هـ ، وكان من جملة زملائه عبد الحليم بن اسماية ومصطفى كمال المشهور بالمضربة الذي سماه الدكتور عثمان أمين محمد بن الخوجة وحسن بريهمات صاحب تقريب «أقوم المسالك في أحوال الممالك» للوزير التونسي خير الدين وغيرهم . ولما زار عبده الجزائر كاتب علي بن عبد الرحمن زميله عبد الحليم بن اسماية يستقصيه عن أحوال الشيخ عبده وهذه جعل من كتابه ، قال بعد الديباجة : قد كثرت علينا القلاقل في شأن ذلك الرجل الفرد الكامل الجليل الشيخ عبده الوارد لحضرتكم السعيدة ما بين قادح ومادح فمن قاتل السيد من أهل الاجتهاد عالم بالمعقول والمنقول ذابا على الشريعة والدين سالك المحجة البيضاء الخ . . ومنهم من يقول : إنه سقى في الفروع معتزلي في الاعتقاد الى غير هذا وتزاحمت علينا أقوالهم وتراكمت أهواءهم وخادموهم بحمد الله لا تزحزحه عواصف الاقوال ولا تزلزله عن موقفه لواعج البطالين من غير بيان قصارى الامر تزاحمت القلاقل من غير ترجيح فالذي يقتضيه النظر الصحيح هو الوقوف حتى يتبين الحق من غيره في قوله تعالى : « فقيبنوا » ولما أخرجه مسلم في صحيحه من قوله صلى الله عليه وسلم : « كفى ياأمرؤ اثما أن يحدث بكل ما سمع » وهذا السيد الجليل العالم الفريد يتزه جنابه بالمارجحات منها حسن الظن المطلوب ومنها العدالة أصل والجرح طاريء كما هو عند الامام الاعظم ومنها انه نشأ ببلدة أهلها سنيون وقرا مع قوم على علماء سنيين وأدرك مرتبة الافتاء الكبرى على علماء سنيين فبعيد أن يكون معتقده على خلاف أهل السنة والجماعة هذا الذي اقتضاه نظر الخادم وان كانت ليست بشيء ولعل هذا السيد سبب ابتلائه بهوس القاصرين كلامه في تأثير القدرة الحادثة الذي هو مذهب العارفين كالحاتمي وأضرابه وهي مسألة في غاية الغموض عند المقلدين الذين يزعمون أنهم

هذا الزمان الشبيه بزمان الفطرة فأقول : هذا الرجل الجليل رجل حنكته تجارب الزمان واستقصى أحوال الامم حتى ميز منها ما شان وما زان وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها ومواضيعها وأعمل فكره أعمق وتدبر وتفكر في الحيل المتين والقرآن المبين فأدرك قوله عز وجل لنبيه الكريم : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فهو يرى أن كل خير صدر أو يصدر في الوجود إنما هو لمحة من شعاعه وبركة ناشئة من اتباعه فما سعد من سعد من الامم الا باتباع سبته والاهتداء بأنواره . وقد أفصح عن ذلك في مقالة له طويلة يتأسف فيها على المسلمين من تركهم العمل بما أنزل عليهم من الامر بالتعاون والتناصر واتخاذهم بدل ذلك التخاذل والتقاطع والكذب والخداع الى ان صاروا حجة لغيرهم على دينهم وقتنة للذين كفروا وتأخروا وتقدم غيرهم بما كانوا يتقدمون اليه في الأزمنة السالفة الا ان عبر عن ذلك بقوله : قيس اضاء بالمشرق وتوره بالمغرب ويرمى في جميع أبحاثه الى بيان المنازع التي منها ثار تأخر الاسلام وشقاقهم وتفرقهم أبدى سبى وقد بين في صدر رسالته في التوحيد بأن سبب أول شقاق وقع بين المسلمين في الاعتقاد هو عدم اقتضاهم على كتاب الله فيما أرشدهم الى الوقوف عند حده وادخالها هوس الفلسفة واعجابهم بما ينقل عن أرسطو وأفلاطون حتى تعمقوا بذلك واشربوا الى امور ومباحث لا تطيقها عقولهم فتنازعوا وفرقوا دينهم وكانوا شيعة وكثيرا ما سمعته يستدل اذا ذكر هذا وامثاله بقوله تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لمست منهم في شيء » ولقد شاهدت منه فعلا كما سمعت منه قولاً ان يفر من الاختلاف فراره من الاسد ومن عجيب امره أنه ما خالفه مخالف في مجلسه الا وتمكن من القاء القبض عليه بجند الحق حتى يوقفه الى حده وكل ذلك بكلام لا يخالطه الضغط وعقل لا يستغزه الطيش وخلق لا يأتي على وسعه ضيق بمقدمات ينتزعها من وجدان مخاطبه حتى يضطر الى الاقرار والاعتراف بنفسه من نفسه ولعلها ورثة من شيعة جمال الدين الافغانى الذى تضافت الرويات عنه أنه ما خاصم احدا الا وغلبه وهذا امر معروف حتى بين علماء أوروبا ورسالته العجيبة التي ألفها في الرد على الطائعتين كما يشهد مثل هذا تلميذه الذى نحن بصدد الكلام عليه ما انشأه من المقالات العجيبة في الرد على الوزير « هاتوتو » بما اقحمه وصيره ينشف ويستغفر من الكلام ويعترف بفزارة علم الراد عليه عند تعرضه للطعن في الديانة الاسلامية وفي مثل هذا المقام تتبين الرجال من ريات الحجاب وتظهر ارباب الغيرة من اصحاب الحيرة وبعد ما رد عليه واسمعه اليم الكلام وجرحه من الزعاف مر على بلده عند سفره الى الجزائر وهو باق في سطوة وزارته منطو على بشه في ضمائره قاضاهه واكرم

[illegible]

عاكف في جميع أوقاته على تدبر آية القرآن واستنباط وجوه الحكم من كلامه وكفالك ما بلغنا أنه إذا أقبل شهر رمضان لا يخرج الى أحد من الناس ولا يلتقي بأحد ويشغل فيه بتدبر القرآن قال : لأنه يجد فيه قوة الإدراك لمعانى القرآن ما لا يجده في غيره من الأيام ، ثم يتعرض لموقف معاصره منه وما جره له خصومه من الاتهامات فيقول : ألا أن الرجل لما كان يتنزل في كلامه للعقول بما الفقه من الإنكار والافكار والانضار والعلوم الجارية وكثيرا ما يجارى الافهام بما الفقه فتجد الناس في أمرهم بين فرقتين فرقة الفقه والتعبير بالعبارات القديمة وكادت أن تتخذ عضدهم مما يتعبد بذكره ولا تحصل البركة والنفع الا بلفظه فربما تطرق الى اذهانهم أنه زنديق يحاول بعباراته تدريج الناس الى الاخلاق والافكار الأوروبية خصوصا مع كونه أنه قد دارس العلوم الأوروبية واتفق السنتم فكان ذلك مما يقوى الشبهة فيه والله يعلم أنه ممن يستمع القول فيتبع احسنه ويتخذ من كل شيء ما يراه أنه سلم موصل للنفع اللائق بالوقت .

وفرقة الفقه هذه الافكار الجديدة والقوانين الحادثة فهم كلما سمعوا كلامه أخذ بمجامع قلوبهم وعظم في صدورهم ولكل عقل خطاب ولكل شبهة حجة ولكل وقت كيفية . ثم ينتقل بن اسماية الى الخوض في مسألة علم التوحيد وكيف كان ينظر منه تلامذته الا أن استعمل معهم طرقا مناسبة للعصر ولعقولهم فائثر فيهم كثيرا وهذه الطريقة هي التي كان يستعملها عبده في تدريسه ومحاضراته ، ثم ختم رسالته بأن أرسل اليه نسخة من رسالة التوحيد وأشار الى المواضيع التي استقصاه عنها مراسلة كمسألة الجن وانكار الولاية وخلق الافعال وكرامات الصالحين الخ

الفقيه الى مولاه عبد الحليم بن اسماية

في 29 ربيع الثاني 1322 هـ

هذا هووى رسالة الشيخ عبد الحليم بن اسماية التي استوعب فيها جوانب من ترجمة حياة محمد عبده الذي لازمه مدة اقامته بالجزائر ولاشك أن محمد عبده قيل زيارته للجزائر لم يكن مجهولا في اوساطها العلمية اذ كانت الجزائر متصلة بالمشرق فكانت التأليف والصحف والمجلات ترد اليها كما كان المخرجون من الازهر في عدة جهات من القطر وكان امثلهم الشيخ المولود البوشيحي صاحب المعهد الشهير بنواحي مزونة والذي كان يقضى شهر رمضان في التدريس في البلدة يطلب من علمائها كان الشعبي هذا من خواص تلامذة الشيخ عليش الفقيه المشهور الذي كان من الخصوم عبده كل هذا لم يمنع عبد الحليم بن اسماية وزميليه من الالتفاف حول الشيخ عبده

الخيال ويرون أن الواجب على المجتمع أن يحصل جملة وهي واسعة لانقاذ هؤلاء المرضى حتى لا يسرى داؤهم في المجتمعات وأن خطرهم لا يقل عن الوبئة المبيدة للشعوب انتهى ٠٠٠ وهذه الفرق ليست من تصوير الخيال بل عقدت طائفة منها مؤتمرا في هذا الشهر بسويسرا ، وهي تضم ما يزيد على خمسة آلاف عضو (5000 عضو) فيهم كثير من كبار العلماء والباحثين يشغلون مناصب راقية في المجتمع - واسمحو لي أن جرفني سياق الحديث الى هذا الاستطراد الذي لربما يرى فيه بعض المستمعين خروج عن الموضوع ولتراجع الى موضوعنا لنأتي بالخلاصة »

ان زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر كما نرى اثارت اهتمام الباحثين في عهدها ثم لا زال الكتاب يتحدثون عنها وفي هذه الايام اطلعت على مقال نشرته مجلة البلاغ البيروتية بعددها الصادر في 27 ماي 1974 م بمناسبة وفاة المرحوم السيد علال القاسي تحت عنوان « علال القاسي في المشرق » قالت فيه بعد ذكر نبذة من ترجمته « وننشر له ملخص محاضرتين الاولى القاها في دمشق في نهاية الاربعينات بعنوان : « أهمية المغرب بالنسبة للعالم العربي » والثانية القاها في القاهرة في بداية الخمسينات وركز فيها على تطور الحركة السلفية في المغرب الى حركة وطنية وعنوانها : « زيارة محمد عبده للجزائر وتونس » ثم قالت المجلة المذكورة ويذكر علال القاسي هذا زيارة قام بها الشيخ محمد عبده الى تونس والجزائر دون أن يتمكن من زيارة المغرب الاقصى ويذكر أن مراسله قامت بين هذا المصلح المصري وبين زملاء له في المغرب وراى علال القاسي أن المكاتبات التي تبادلها محمد العربي العلوي شيخ الاسلام بالمغرب وأبو شعيب الدكالي الوزير السابق رائد الاصلاح بالمغرب هي التي كانت بداية للحركة الاصلاحية في المغرب وما قاله الدكتور عثمان أمين من أن محمد عبده لسدى زيارته للجزائر وجد آثاره التي كانت تصل الى الجزائر على طريقة مجلة المنار يمكننا أن نعلق عليها بأن السلفية كانت موجودة بالجزائر ومنتشرة في عدة أوساط لا فرق بين السلفية التي تحدثنا عنها ، ووصلت الى الجزائر على طريق أبي الحسن الزرولبي ورد عليها الامام السنوسي في كتابه « نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير » او السلفية التي تزعمها ابن تيمية وقد كنا تحدثنا بنوع من التفصيل في المحاضرة السابقة على أحد روادها الذي ظهر في أواخر القرن الميلادي الماضي وهو الشيخ صالح بن امهنة دفين قسنطينة كما أشرنا في المحاضرة السابقة الى عالين سلفيين من نواحي الاصنام هما الجيلالي بن المنور المجاوي وأحمد بن يحيى الشراطي ، وذكرنا

19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 841. 842. 843. 844. 845. 846. 847. 848. 849. 850. 851. 852. 853. 854. 855. 856. 857. 858. 859. 860. 861. 862. 863. 864. 865. 866. 867. 868. 869. 870. 871. 872. 873. 874. 875. 876. 877. 878. 879. 880. 881. 882. 883. 884. 885. 886. 887. 888. 889. 890. 891. 892. 893. 894. 895. 896. 897. 898. 899. 900. 901. 902. 903. 904. 905. 906. 907. 908. 909. 910. 911. 912. 913. 914. 915. 916. 917. 918. 919. 920. 921. 922. 923. 924. 925. 926. 927. 928. 929. 930. 931. 932. 933. 934. 935. 936. 937. 938. 939. 940. 941. 942. 943. 944. 945. 946. 947. 948. 949. 950. 951. 952. 953. 954. 955. 956. 957. 958. 959. 960. 961. 962. 963. 964. 965. 966. 967. 968. 969. 970. 971. 972. 973. 974. 975. 976. 977. 978. 979. 980. 981. 982. 983. 984. 985. 986. 987. 988. 989. 990. 991. 992. 993. 994. 995. 996. 997. 998. 999. 1000.

جماعات بل يجد العالم منبها في الدراسات الاسلامية التي تدعو الى الكتاب والسنة وقد حافظ عليها المحدثون وفرضوها على النخبة بسيادهم وتزاهتهم ولم يلوثوها بالتخاذل وسيلة للاحتراف والارتزاق أو لخدمة ركاب المفرضين من طلاب الجساء والمال الذين يحبون أن يصمدوا بما لم يفعلوا ويدخلون فيها العوام واشباههم كما فعل كثير من المتصوفين الذين فتحوا باب طرقيهم الى العوام فاتبعوا الجوانب السلبية من التصوف حتى زهدوا الناس في التصوف وتصدى بالرد عليهم كثير من المتصوفين الذين ذكرنا من بينهم عبد الرحمن الاخضرى ، وكانت محاضرة البدع والمتصوفين المحترفين خصوصا طبقة الجهال التي تستغل الضروف والسذاجة وأوساطها الجاهلة وكثر هذا النوع في أواخر القرن الماضي أي الميلاى وتولى أحد الادباء الجزائريين تصويرهم في المقامات باللغة المهلهلة الجامعة بين الفصحى والعامية ، وقد كان فضل تخليد هذه المقامات أحد المستشرقين فجمعها وترجمها الى الفرنسية ، ثم نشرها في المجلة الآسيوية التي كانت تصدر في باريس ولا يسع الوقت لذكر هذه المقامات فإنتى كنت اخترت منها اثنتين عبارة عن تصوير بطل هذه المقامات وهو ما يدور في الأوساط المنحلة مما يسمى في تونس بالبروقية * هي طريقة جدا ولكن الوقت لا يسمح لنا بالقراءة لهذه المقامات كتبت في آخر القرن الماضي أي قبل زيارة الشيخ عبده بسنوات صور فيها صاحبها جوانب من المجتمع الجزائرى وركزها على الأوساط المنحلة كالحفلات عند الأضرحة وبائع التمايم والسحرة أو المتمرطين من طبقة الدجالين وهذه الأشياء لا تجعلنا نعم حكمنا على المتصوفين كلهم بأنهم من هذا النوع وهذا ما تصدى له الاخضرى وغيره وقد كان الشيخ عبد الحليم بن اسماية ورفيقه مصطفى امضارية عندما تعرفا بالشيخ محمد عبده تجانين ولكنهما لم تمتعهما تجانيتهما من الانتصار لمبادئ عبده عن عقيدة وبيان وأن حافظ الشيخ عبد الحليم على علاقته مع التجانية فقد قطع زميله مصطفى امضارية كل صلة بهم بعد اتصاله بعبده كما نجد موظفين دينيين إذ ذاك ليسوا كلهم من طبقة على بن عبد الرحمن أو مصطفى امضارية بل يحكى أن نابليون الثالث عندما زار الجزائر حوالى 1865 م وكان يميل الى تكوين دولة ملكية أو شبهها أراد أن يتصل بشخصية اسلامية ملحبة يتذكر معها في الموضوع فدل على المفتى وفى أثناء الحديث سأل عما يقترحه وكان المترجم بينهما يهوديا فأجابه المفتى وكان شهر رمضان على بعد بأن العادة أن يعطى له قطار الزلائية بمناسبة رمضان وفى هذه السنة بلغه أنهم لا يرسلون اليه الا نصف القطار فقط كان هذا الذى يهه وقد حكى لى أحد الاصدقاء أن هذه الواقعة تكررت في العهد الاخير اثر الحرب

[illegible]

ولا تكون مستقلة أو عثمانية وأنه كما صرح لنا باعتقاده أن انجلترا دولة البر والبحر ذات القوة والبطش وأن المسلمين ضعفاء لا يمكنهم مقاومة بريطانيا العظمى . انتهى ما نقله الاخ اقنانش عن عمر راسم . والشيخ عمر راسم مشهور في الاوساط الادبية الجزائرية وهو مع فضله ومواهبه شاذ حتى أنه كان مقرئاً في الاذاعة وكان ينفق مرتبه في شراء طوابع البريد وفي كل شهر يرسل عشرات الرسائل للنواب والحكام والفنانين والمقرئين والمصلحين نثراً ونظماً يسبهم ويشتمهم بل كثيراً ما يرسل رؤساء الدول واننا وان تعرضنا لهذه الجوانب السلبية من زيارة الشيخ محمد عبيد فانها لا تنقص من قيمة الرجل في ميدان السلفية ووثيقة الشيخ بن اسماية لها أهمية اذا اطلع عليها الدكتور عثمان أمين منذ سنتين وأطلع عليها كثيراً من أصدقائه ورأى أهميتها واننا عرضتها عرضاً من دون التعرض الى تحليلها بل كثيراً ما لخصناها من دون التعرض الى تحليلها ومقارنتها بما كتب عنه واسمحوا لي .

(*) 1978/8/1 : תבנית חשבונית מס' 1000/א

الوطن الإغزة الأكرمين ، ومن عواطف النضال الشريف في سبيل المستقبل الأفضل ،
وبتريد المستعمر الحسيس ، والاندفاع الجريئ في ميادين التضحية والجهاد ، وولوج
أبواب الاستشهاد ، في غمرة شعبية ، اسطورية عملاقة ، كانت فاروقا بين الاستعمار
والاستعباد والمهانة ، وبين الحرية والاستقلال والكرامة ، أقام الشعب بها الليل
الناصع على انه سليل خير أمة أخرجت للناس ، فإذا ما أتاح لي اليوم المركز الثقافي
الاسلامي ، هذه الفرصة لكي أقدم حضراتكم الجزء الثاني من مذكراتي التي أطلقت
عليها اسم « حياة كفاح » وكانت مصداقا لقول الشاعر :

هي مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

فإنني اعتبل هذه الفرصة بجذل عظيم ، لا لكي أقدم لكم الكتاب ، وهو أمامكم ،
وفي متناول أيديكم ، بل لكي أقدم لكم روح الكتاب ، وفكرة الكتاب ، والارتسامات
التي تمخضت عنها الذاكرة فاملت هذا الكتاب . وقد سبق لي أن قلت في مقدمة
الجزء الاول منه ، ان القلب يمل ، والقلم يسجل ، ولا اكاد اندخل بينهما ، إذن فهذا
الكتاب هو فيض الروح ، وهو صورة الوجدان ، كما هو مرآة الحوادث الصادقة ،
تسجل لك ما أمامها ، دون زيادة أو نقصان

وفن المذكرات ، سيداتي ليس بالفن الجديد ، وأن كنا نتناوله للمرة الثانية
في حياتنا السياسية والاجتماعية والادبية . فالمسرة الاولى ، قد احرز بها
قصبات السيف اخونا وصديقنا المفكر العظيم المرحوم مالك ابن النبي ، باصداره
كتاب : مذكرات شاهد العصر Mémoires d'un témoin du siècle ولعلنا نفتخر
في جزائرها الحبيبة ، بأن العلامة الأكبر ، مفخرة الفكر والتحليل التاريخي العلمي .
عبد الرحمن بن خلدون ، قد كتب في بلادنا مذكراته الفنية الثرية ، التي ازلحت
الستار عن نقط غامضة في تاريخ حياته ، وتاريخ محيطه ، وتاريخ الهوج السياسي
الذي كان يسود بلاد العالم الاسلامي في عهده ، ولولا مذكراته تلك ، لضاعت عنا
تفاصيل هامة ثرية ، عما كان يجري ببلاد غرناطة ، واشبيلية ، وفاس ، وتلمسان ،
وبجاية ، وتونس ، والقاهرة ، ودمشق .

بل اذا ما نحن استثنينا كبار كتاب المذكرات في الزمنين القديم والواوسط ، امثال

احمد توفيق المديني

حياة كفاح

(مذكرات)

القسم الثاني

في الجزائر

1925 - 1954



لخص القرآن العظيم هذا التشاكس في اتجاه الحقيقة ، بقوله للمشركون : لكم دينكم

ولي دين •

فالحقيقة إذن ، سيداتي سادتي ، لا تفرض فرضاً ، إنما هي نتيجة بحث واستقراء

وايمان واقتناع •

فما اعتقدته أنا حقيقة ناصعة ، وسجلته في مذكراتي اصف به حادثاً ، أو احكم به على انسان ، ربما رآه غيري من الباحثين مخالفاً للحقيقة التي براها هو وبؤمن بها • لا أقول عن هذا انه ممكن الوقوع ، بل أقول عنه أنه واجب الوقوع • فقد قال أبو الوطنية العثمانية نامق كمال بك : باصطدام الافكار ، يصطع نور الحق • وقال مالك بن انس المجتهد العملاق وهو يدرس الحديث عند ضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم : كلكم راد ومردود عليه ، الا صاحب هذا القبر •

فانا ، سيداتي سادتي ، اقدم كتابي ، بجزاياه الصادقين ، وبجزئيه المقبلين ، الحقائق الناصعة التي اطمأنت بها نفسي ، وآمنت بها ، بحيث اني مستعد للنضال في سبيلها ، الى آخر ما في النفس من جهد وطاقة •

ففي الجزء الاول ، كان لي شرف تقديم الوسط التونسي وهو يتدرج خلال السنوات الاولى من هذا القرن العشرين وقد اطبق عليه الاستعمار بشدة خنقت انفاسه ، وان كان لم يمض على وجود الاستعمار يومئذ الا نحواً من ثلاثين سنة ، امتلك خلالها الحصب من الارض ، ووضع خلالها الى جانب ابناء البلاد المحرومين ، جالية أوروبية جشعة ، خيل اليها زيفاً وغروراً انها قد انحدرت من صلب جوبيتر كما يقولون : واخذت تعامل المواطن المسكين ، المشدود ، معاملة السيد الارعن ، للعبد المحقر ، بل وصل بها البني ، من الغاظة الشتمية المتكررة ، والاحتقار المبثزل ، الى قولها : اذا صادفت في طريقك العربي والافسي ، فاسبق بقتل العربي هكذا كتبوا بالحرف الواحد في ورقة تونس الفرنسية ، الحفيرة •

لكن ذلك الوسط التونسي الذي كان في نظرهم شراً من الافعى ، كل يتحمل ، كان يتأهب ، كان يفتظر بفارغ صبر ساعة الخلاص • انه قد وجد رجاله ، بل وجد

الانفرادية بسجن تونس المدني ، حيث قضيت اربع سنوات الا قلا ، وما أنقذني من حكم بالاعدام محقق ، الاسنى ، اذ كنت لم أتجاوز السادسة عشرة من عمري . قالوا يومئذ ، بعد تدخل حازم من المحامي الجزائري الكبير ، الاستاذ لادميرال . لنتركه في سجنه دون محاكمة الى نهاية الحرب . وهكذا كان .

انما لم اقض سنوات سجنى لاهيا ، أو عابثا أو متبثسا ، بل قضيتها متعلما ، دارسا ، مستفيدا . ولعلنى كتبت عن تلك الحقيقة من حياتي ، في مذكراتي ، صفحة شيقة ، مشرقة .

عند نهاية الحرب ، خرجت من قبر الحياة ، الى ميدان الحياة ، وقد قادتنى سنوات السجن والتضحية الى ساحة العمل الوطني ، المثمر ، حيث كان الاخوة الزعماء ينظمون صفوفهم ، ويجمعون الامة حولهم ، ويستمدون لحوض ملحمة من اكبر الملاحم ضد المستعمرين الفاصيين .

هكذا نشأ الحزب الحر الدستوري التونسي ، وهكذا وجدت نفسي ، لا في لجنته التنفيذية فحسب ، بل في طليعة صفة الاول ، متبولا مقعد الامين العام المساعد ، وقد كلفت بالقلم العربي ، وبادارة الحزب .

وكان النضال العنيف ، وكانت الحملة الصادقة في سبيل الحرية ، وكان الاندفاع العارم بالقلم وباللسان ، وبالعمل الثوري الجريئ ، من اجل رفع رايات الحرية والاستقلال ، ولتخلص من استثمار كان يزداد شراسة وعنجهية ، على مقدار ما كنا نزداد حساسا واندفاعا . وتزداد نار وطنيتنا توهجا والنهبا .

كل هذه التطورات ، كل هذه الاحداث ، وما تخللها ، وما لايسها ، وصفتها بدقة واخلاص خلال الجزء الاول من هذه المذكرات ، بصفة تجعل الذي يطالعها ، يشعر بانه قد عاش تلك الحوادث واندمج في وسطها ، واصطلى بنارها ، واقتبس من نورها . وجاء وقت الحلاف الشهير ، الذي اشترك الاستثمار بصفة ظاهرة وخفية في اذكاء ناره ، والافادة منه ، وجاءت ساعة سفر الوفد التونسي الثالث الى باريس ، وكنت ضمنه بين الاربعة الوفدين فثروني ابرز دور المشاركين في كل ذلك ، واذكر حقائق وبيانات ناصعة بقيت وحدي الامين عليها . فاولا انني سجلتها ، وامطت اللثام عنها .

البسام في المستقبل الحر السعيد ، ويرى نفسه ، وهو مخرج بدماؤه ، فإذا به ينشئ الحياة ، ويحقق الامل ، ويتبوا مقعده الفسيح بين الامم الحرة الحية التي تحتل مقعدا ثابتا ، تحت أشعة الشمس الساطعة • انه أمة من الاحرار ، لا أمة من العبيد •

تروني اصف ذلك الشعب الحى الخالد وصفا دقيقا ، صادقا ، واقدمه في مذكراتي وهو يتملح ، ويتنور الطريق ، ويستعد لليوم الحاسم العظيم •

لقد كانوا يقولون عنه ، زورا وبهتانا ، انه شعب متخلف ، وانه شعب لا يهتم في الحياة الا بلقمة ملوثة يزدردعا ، وجرىد بال يكسبه ، وانه آمن ايمانا عميقا بقول الدجاجة الذين كذبوا عليه ، وقالوا له : ان الدنيا للكفار ، وان الآخرة للمؤمنين • والله يقول : ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا •

كلا ثم كلا ، لقد رأيته رأى العين ، لقد اندمجت فيه ، واختلطت روحى المناضلة بروحه الثائرة ، فإذا به لا يفكر فى اللقمة ، بل يفكر فى القمة ، لا يريد الجرد ، بل يريد الحرية والمجد ، لا يرضى سكنى القبور ، بل يتطلع ليراث القصور ، لقد حقق لنفسه ، بصدقة ، وجهاده ، وتضحياته المتواصلة ، ما كان الكثير من الناس يخالونه مستحيلا ، فما هى الا سنوات قليلة ، حتى رأيناه يهب عاصفة هوجاء طاغية ، تحطم الاستعمار ، كل الاستعمار ، وتحقق المجد ، وتسكنه القصور ، تحت رايات الحرية الحمراء والاستقلال العزيز •

ووصفته وامنت فى وصفه فى ليالى قسنطينة الزاهرة ، على أول عهدى به • وما كان خلالها من حديث مهم ، هادف بناء ، ووصفت رجاله الميامين بها ، وهم يتخطون عتبات البطولة الصادقة كمبد الحميد بن باديس ، ومبارك الميلى ، ومن التف حولهما من صانعى المستقبل وبناء الامل •

وصفته فى تلمسان الغناء ، حديقة التاريخ ، واحة الادب ، بين آثار العظمة والمجد وشبابه وكهوله ، يتزاحمون بالمناكب قصد بلوغ الهدف ، وتضخيم الحثث الاستعماري البغيض •

وصفته فى وهران ، وقد خالها الاعداء مدينة ميتة ، ومقبرة للاحياء • فإذا بها — منذ الساعة الاولى — مدينة الحياة ، مدينة البعث ، مدينة النشور ، تتفاكر علينا

الكبير ، كيف ان حكومتنا الحرة المستقلة ، الساهرة على شؤون البلاد والعباد ، قد غفلت عن ذكر الرجلين العظيمين ، فلم تطلق اسميهما ولو على شارعين من شوارع العاصمة او احدى عواصم الولايات *

هذا مجرد سهو على ما اعتقد ، سوف يتدارك * وهكذا يستمر نمو النهضة العملاقة ، ونعم وتنشر ، الى ان تتوج سنة 1927 بتأسيس نادى الترقى ، الذى كان دون ريب حجر الزاوية فى هيكل الحياة الحرة الجزائرية ، حياة العروبة والاسلام والوطنية الصادقة ، واننى خلال مذكراتى هذه ، لامن فى وصف النادى ، وفى وصف رجاله ومؤسسيه ، وفى تفصيل أعماله ومساهمته ، وصفا يجعل القارئ شاعرا بانه عاش تلك الفترة ، وشارك فى هاتيك الاعمال *

ومن ثم يأتى دور الاحتفال المئوى الذى اقامه الاستعمار الاهوج ، احتفالا بمرور قرن على احتلال الجزائر واستعبادها . اذ كان ذلك اليوم الاسود المشؤوم ، مطلع هلال النهضة وعتيق النور الجديد . ارادوه يوم تخليد لموت الجزائر الابية واراد الله الشعب ، ان يكون فى الحقيقة يوم بعث ويوم نشور . كان يوما فاصلا بين عهد استعمارى موبؤ . وبين عهد نهضة صادقة ، صارخة ، واستعداد لليوم الآخر ، العظيم . لقد كان ردنا ، فى النادى - على ذلك الحادث ، ردا حاسما ، قاطعا ، جسورا ، كان ودنا عليه ، هو اقدامنا على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وما ادراك ما هبة *

كان ودنا عليه ، اقدامنا على تأسيس ونشر الصحف الاسلامية الوطنية الحرة التى كانت تتكلم باسم الامة ، وتحمل شعور الامة ، وتبث أنوار الهدى واليقين بين صفوف الامة *

وهكذا ، سيداتى وساداتى ، ومنذ تلك الساعة ، استمر التصاعد الوطنى متخطيا مدارج النمو ، واستمرت الفكرة سائرة فى طريقها لا تلوى على شيء . فكنت امن خلال ما كتبت فى المذكرات ، فى وصف الحركات الوطنية مثل حزب الشعب الجزائرى وحزب انتصار الحريات الديمقراطية مع مصالى الحاج ، واحمد مزغنة ، واضرابهم ، وحزب البيان الجزائرى مع عباس فرحات ، والدكتور سعدان ومن اليهم ، وجمعية

اردوا خلالها ما يزيد عن الاربعين ألفا من رجالنا ونسائنا وابنائنا • ونادوا بفطرسه
الجبنام : ان فرنسا هاهنا الى الابد !

يومئذ يقن الشعب الابي ان لا حياة دون ضحايا • ان لا حرية دون دم • ان
لا خلاص من الاستعمار الا بمعركة قاسية ، شرسة ، طويلة الامد ، فيها موت الشهداء
الابرار • وبدمها عيش السعداء الاحرار •

هكذا سار الشعب سيره المونق المطمئن يهبي للثورة اطارها ، ويوقد في المكامن
نارها ، غير عابئ بما عاناه من اضطهاد ، فاذا ما دقت ساعة القدر • ونادى المنادى
ان حي على الجهاد، وشعب وشبة الأكسدهصور ، ووقف عملاقا مواقف البطولة
والفداء التي لم يقفها شعب آخر قبله على ما اعلم ، وهانت عليه الارواح فداء الحرية
والاستقلال ، فكانت الانتفاضة شاملة عمت كل اطراف البلاد ، وارتوت الارض الطاهرة
من دماء الشهداء الابرار ، من سوق اهراس الى تندوف ، ومن ساحل المتوسط الى
ما وراء جبال الهقار : الى ان حطمنا الاستعمار تحطيمها واخرجناه ذليلا حقيرا ، لا من
ارض الجزائر وحدها ، ولا من المغرب العربي فحسب . بل من كامل القارة الافريقية ،
والي الابد ! وسياتي تفصيل كل جهادنا في الخارج من اجل ذلك في الجزء الثالث ،
وقد قدمته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مشكورة للطبع ، وسيصدر بحول الله
واخر هذه السنة •

ذلك خلاصة ما ذكرته في كتابي الجديد ، وما اطنبت فيه من وصف الحوادث
والرجال ، اقدمه لكم سيداتي وسادتي ، واشهد امام الله ، واشهد امام الضمير ،
وامامكم جميعا ، اني ما قلت فيه الا الحق ، وما توخيت فيه الا الصدق ، وسترون ذلك
راي العين حين قراءته • وستقرأونه بحول الله •

وشكرا لكم جزيلا ، والسلام عليكم ورحمة الله •

الارشيفات (مذكرات بوليسية ، تقارير محضرة من قبل المصالح الرسمية ، مذكرات موجهة من قبل السلطات العاصمية ، مادة تاريخية من الواجب استخدامها بحذر بالغ والبحث فيها باعتناء مع استخدام واستغلال تقنيات أخرى مناسبة . ولو لم يقع ذلك إلا لأن هذه الوثائق حضيرها عمال دولة أو موظفون لا يعرفون أو يجهلون غالباً الحقائق الواقعية والثقافية والايديولوجية التي يتحدثون عنها والذين يجهلون غالباً الوسائل الحقيقية والتعليمات وحركة التطور ومقتهيات الحركات التي يشتغلون بها ، الخ . ٠٠٠) أو نقل في شكل جزازات متنوعة لخلاصات تقارير صحفية حررتها مصالح الإقامة العامة أو الولاية العامة . وهذا يؤول - بكل تأكيد - الى انجاز أعمال جمع فائدتها محدودة . ذلك أن هذا المستوى من التقرب من الحقائق المغربية المعاصرة يتسبب جانباً تساماً التعقد والاهمية والايهامات والتناقضات والتورطات المتعددة والمواقف والاسباب العميقة المخزية غير المعترف بها ومطامح السكان الصحيحة ونشاطات المناضلين الحقيقية - وباختصار - التطورات المتعددة للحركات الاجتماعية والسياسية التي تهيمن على تحولات هذه الحقائق . ففائدة واسهام وأهمية مذكرات وذكريات الشخصيات السياسية المغربية بالنسبة الى دراسة وثائق تاريخية تهم جوانب معينة من التاريخ . ولو اتسمت بالحماس والهوى والتحيز والتوجيه والذاتية النابضة بالحياة ، ولو شجنت بالتفاصيل والمشاعر ، فإنها تمد - بتدقيق - المؤرخ بأضواء أخرى وتاويلات أخرى وكشوف أخرى ومعطيات أخرى ووثائق مبتكرة أخرى لم تنتشر من قبل وعناصر جواب أخرى واعترافات أخرى وأبعاد أخرى ومعلومات أخرى غير التي تنقلها نصوص الارشيفات .

هذا بديهي ، ولكنه جدير بأن يذكر به الذين يظنون أنهم يضادعوننا بنقلهم لنا وثائق رسمية مستقاة - بدون نظام ولا بحث تاريخي - من الارشيفات العامة للحكومة أو لوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية . ويحاولون - عيشياً - لدى انعدام تصرف أفضل - أن يخدعوا الأغرار منا بصدد أهمية هذه الوثائق من حيث الكم والكيف . حقيقة ، ماذا يفهم مخبر الشرطة في عهد الاستعمار عن المطامح الصحيحة لتجميع سياسي أو عن نشاطات سرية لهذا المناضل أو ذاك أو عن المناقشات أو القرارات الحقيقية لإدارة سياسية ما مثلاً ؟

لننتهج بالاطلاع - في هذه السنين الأخيرة - على أن شخصيات مغربية صارت تؤلف وتنتشر ذكرياتها ومذكراتها - الحين بعد الحين - وتسهم بذلك من دون ما ريب

ان القسم الاول من المذكرات هو بلا نزاع اسهام جد نفيس وفيه عبرة للمعتبر *
ويسهم - على كل حال - فى اعادة النظر فى معلوماتنا التاريخية وفى تصحيحها
على اقل تقدير *

وذلك فيما يخص ثلاث مسائل اساسية فى تاريخ تونس المعاصرة :

اولا ملف الصلات بين القومية والنقابية فى تونس فى ما يعيد الحرب الكبرى ،
(1919 - 1925) ان وثائق المذكرات تبين بحق وهن واوهام طائفة من التفسيرات
الجديدة العهد حول موقف الدستور من جامعة عموم العمان التوشيين ، وتقيم الدليل
ايضا - وليس ذلك اقل اهمية - على خطر استخدام وثائق الارشيفات الرسمية بدون
بحث تاريخى (تقارير قنصلية وتقارير صحفية ومذكرات بوليسية) * وعلى كل حال
هى تحمل البرهان على تعقد أحداث العصر وعلى مخاطر التعميم وتبسيط التخطيط *

ثم ملف العلاقات بين الدستور وبين حزب الاصلاح التونسي لاعوام 1921 - 1925 .
ان نشر محاضر اجتماعات اللجنة التنفيذية الخاصة بهذه المسألة (محاضر مفصلة
تم فيها تسجيل تدخلات المشاركين والقرارات والاقتراح ومحاولات توحيد المظمتين ،
الخ ..) يكون ذلك حقا مساهمة مبتكرة لم يسبق نشرها لها قيمة استثنائية فى
الملف * وتجدر بصفة كاملة ضالة ما نعلمه الى الآن حول حزب الاصلاح التونسي *

وعلى كل حال يضطربنا نشر محاضر الاجتماعات الى مراجعة تقديراتنا الخاصة
بالحركات الاجتماعية والسياسية فى تونس بعيد الحرب الكبرى * وهذا يؤيد من جهة
اخرى توجيهاتنا فى التحقيق حول فن طرح المشاكل فيما يخص الازمات والتحولات
فى العالم الاسلامى المتوسطى المعاصر *

واخيرا! ملف شروط تكوين وتطوير الحزب الحر الدستورى التونسى (1919 -
1925) *

ان ا. ت. * المدنى يكشف لنا هنا عن عناصر تحقيق جد نفيسة ويدلنا - من بين
اسباب شتى - على الدواعى الحقيقية التى حدث الشيخ الثعالبي الى الذهاب الى
الشرق الذى لم يعد منه الا فى سنة 1937 * مع ان حضوره فى تونس كان مستجبا
مرغوبا فيه - ان مما قد يعاب على ا. ت. * المدنى هو ذكره باستمرار نشاطاته اثناء
مذكراته * وهذا المتطلب من متطلبات فن المذكرات يبرره فى الواقع الدور الغالب الذى
يقوم به المناضل المسؤول عن حركة فى طور تكوينها * وعلوة على ذلك لا يستطيع
المؤرخ ان يناهض التقديرات وشهادات مفاضلى العصر - بل هو - بخلاف ذلك -
يسعى فى المطالبة بها والبحث عنها *

وان مطالعة بحث ا. ت. * المدنى جد ممتعة فى القراءتين الاولى والثانية وهى مشوقة
ومثيرة للاهتمام فى المعنى النبيل للفظ * ويعتبر هذا البحث من الآن فصاعدا مرجعا
اساسيا للتاريخ الاسلامى المتوسطى المعاصر * لنتنظر ان صدر اقسام الكتاب
المعلن عنها *

وسيقى المكتوبة أو الكلاسيكية أو أيضا الموسيقى العالمية * هذه الموسيقى ، عكس الأولى هي موسيقى توافقية ومتعددة الاصوات *

1 - قبل جويلية 1962 :

اثناء العهد الاستعماري ، ميدان الموسيقى متعددة الاصوات كان خاصا بعدد قليل جدا من الجزائريين ، وبالتأكيد كان لجمهور الملاكين وهم المعمرين * وهذا لم يكن عدم مبالاة الوطنيين بالثقافة بل بسبب حالة المعيشة والبحث عن القوت لأن من السهولة لمن يبحث عن عمل ، أن يفكر للغد في خبز وخبز عائلته ، ويصعب عليه العثور على الوسائل والحاجة للثقافة *

دائما في اثناء هذه الفترة ، وللكفاح ضد الاستعمار الثقافي ، لم تستسلم الجزائر بل بالعكس ، كان نشاطها الموسيقي ، الادبي ، الفني ، والموسيقى العربية (من بدوية وفن شعبي الخ -) من الاشكال العديدة لمقاومة المحتل منذ سنة 1962 ، تغيرت الوضعية في بلادنا ، لاننا حصلنا على الاستقلال الوطني بعد تضحيات كبيرة ، وصرنا في حالة الخروج من اليأس والجهل الذين خلفهما 132 سنة من الاحتلال *

وليس ادل على ذلك من المجهودات المبذولة نحو تصنيع متقدم ، واقتصاد سليم ومشروع اصلاح الزراعي *

حاليا ، لا ينبغي أن ننظر الى الموسيقى السامفونية فقط كفن خاص بالمنخبة ، ولكن كجزء اساسي من الثقافة العالمية (كما يشهد بذلك حضور وزيرنا للتعليم الاصلى والشؤون الدينية سنة 1971 في المانيا للذكرى المئوية الثانية على مولد بيهوفن

وكما أن العلوم يمكن أن تكون كعناصر محرك ومنطلق نحو تنمية الصناعة والاقتصاد في البلد ورفاهيته المادية ، فالموسيقى ذات التكوين الجيد ، تتجاوز ويمكن وينبغي أن تساهم في التجديد الموسيقي ، والثقافة الوطنية والرفاهية الروحية لشعبنا ، أن موسيقى الفن الشعبي ، البدوي ، القبائلي ، المصري ، الخ .. تشكل مجموعة غنية ومتنوعة ، لكنها محدودة جدا ، لأنها غير موجهة الى داخل الوطن ولكن الى فئة من الجمهور * ففي الواقع لا وجود لموسيقى وطنية ، أي موسيقى تتوجه بالذات والطابع الى جميع طبقات الشعب وكل الوطن *

واذا غضضنا الطرف عن كون كل موسيقى شعبية تدخل في اطار الموسيقى عموما ، فهذه الموسيقى ليس لها الا دور صغير ، لأنها تتعلق ببلد ، وبالناحية المولودة

حسب علمي ، المدارس الموسيقية التي كانت موجودة هي المستمرة في العمل فقط ، ولم تفتتح أية مدرسة جديدة ، عدا مدرسة الموسيقى الخاصة بالمرشح الوطني الجزائري التي سنتحدث عنها *

والاهمية المستعجلة تقضى بفتح مدارس للموسيقى منتشرة في كامل التراب الوطني (تلمسان ، الجلفة ، قالمة ، بشيار ، تامنراست ، توقرت الخ ..) لضمان تعليم الجماهير الكتابة الموسيقية واكتشاف الموهوبين *

وفتح هذه المدارس المتخصصة يسمح أيضا بتعيين أساتذة ليعلموا الكتابة الموسيقية والعزف من بين التلاميذ الحائزين على شهادات *

3 - التجربة الطلائعية لمدرسة الموسيقى التابعة للمسرح الوطني الجزائري *

افتتحت هذه المدرسة في نوفمبر 1965 وتواصلت الدراسة فيها بانتظام لغاية مارس 1970 *

كانت مدرسة طلائعية لأن مبدأ التعليم فيها كان مستعملا كما في البلدان الاشتراكية مع مضاعفة التعليم لأنها كانت تشمل التدريس العام ببقية المدارس الابتدائية أو الثانوية ، ومن جهة أخرى تعليمًا موسيقيًا موازيا (العزف ، الكتابة الموسيقية وتاريخ الموسيقى) *

كانت هناك أربع ساعات للتعليم العام صباحا وثلاث ساعات للتعليم الموسيقي بعد الظهر يوميا - وتم تسجيل التلاميذ بعد اختيار « الاسماء الوطني » لهم من بين أبناء الشهداء ، أبناء العائلات الفقيرة ومتطوعين - كان أغلب التلاميذ أميين وتعلموا القراءة والكتابة في هذه المدرسة *

كما في كل التجارب الطلائعية هناك مظاهر سلبية الى جانب الايجابية *

٢) المظاهر الايجابية :

- مراقبة التلميذ هذه مرات في الاسبوع من طرف أستاذ الموسيقى *

- النظام الداخلي يسمح بالتبعب في جو رفاق *

- التعليم العام (ذو الطابع الادبي) يسمح للتلميذ بالحصول على تهذيب متنوع ومتعدد الاشكال وباحراز شهادات ثانوية ، ثم جامعية بالاضافة الى الشهادات الموسيقية المحضنة *

فى جانفى 1970 ، تقدم جزائرى فى العزف المنفرد يرافقه جوقنا • وفى ديسمبر 1970 ، الجوق كان جزائريا بنسبة 70 ٪ ، افراده لديهم شهادات من مدرسة موسيقية (المعهد البلدى والمسرح الوطنى) •

منذ 1970 ، استقبلنا رؤساء أجواق وعازفين منفردين أجانب مشهورين • أى أننا على الطريق الحسن وينبغى أن نعمل أكثر حتى يثق أبناءنا وموسيقو المستقبل فىنا • طبعاً ، جوقنا ما زال غير تام ، ولكن دون مبالغة ، وصلنا الآن مستوى كثير من الاجواق السامفونية الأوروبية •

5 - المعهد البلدى لعاصمة الجزائر :

I) أهمية التخطيط فى التعليم الموسيقى :

تطور المعهد البلدى لعاصمة الجزائر كمؤسسة تعليم مختصة وثقافية قبل وبعد استقلال الجزائر ، سمح لنا لضبط تقييمه بمراعاة أهمية التخطيط فى هذا الميدان من غير تجاهل الاخطاء الموروثة من الادارة الاستعمارية •

منذ القيام باصلاح عميق لهيكل التعليم والتدريس ، أى منذ أربع سنوات كان برنامجنا محددا بوضع برنامج للمدى القصير والمتوسط والبعيد ، كما تعين القانون الداخلى للمعهد • فى سنة 74 - 1973 ، مع تبني نظام داخلى جديد ، اردنا وضع التعليم الموسيقى فى اطار جدى ، منظم ، مخطط وجيد يتجاوب مع مبادئنا الوطنية •

— فيما يتعلق بتعليم فن التمثيل والغناء ، عملنا بضرورة التعريب الحتمية • ومنذ سنة 1974 تم تعريب قسم الغناء والتقنية الصوتية ، وكأنت الخطوة الاولى نحو تكوين المجموعة الصوتية والمتعددة الاصوات ، والتمثيلية الغنائية والشعرية باللغة الوطنية •

— فى سنة 1974 ، علمت الكتابة الموسيقية ، وهى المادة الاساسية ، لكل التلاميذ دون أي تمييز ، لم يعد هناك تلاميذ من الفئة الاولى وآخرون من الثانية • ولم يعد هناك تفاضل بين تلاميذ الفن الشعبى ، والعربى الاندلسى والموسيقى العالمية •

فى سبتمبر 1975 ، عربت الاقسام التحضيرية للكتابة الموسيقية ، وعولجت اداة عمل للمنظرية الموسيقية — باللغة الوطنية ، بعد عمل مدة سنتين من طرفنا ووضعت تحت تصرف التلاميذ والاساتذة •

— أما تسجيل عدد محدود من التلاميذ يتناسب مع مستوى الكم مع مراعاة عدد المعلمين والاقسام *

— أو تسجيل كل المتقدمين ، ليكون التعليم الموسيقى حقيقة شعبية ، وبعد ذلك اختيار الفخبة من بين اكبر عدد *

وقد احتفظنا بهذا الحل الاخير ، مع الاختيار في ثلاث فترات :

— الاختيار الاول في الدورة الابتدائية *

— الاختيار الثاني في الدورة التحضيرية *

— الاختيار الثالث في الدورة العليا ، مع امكانية اختيار عدم الفائزين لتعلم العزف على آلة أخرى أو انتقالهم الى قسم آخر يتناسب مع اعمارهم ويكون الازدحام فيه قليلا *

3) اللامركزية في التعليم الموسيقى هي قاعدة اللامركزية في الثقافة :

— حتى سنة 1973 كانت لثلاث دوائر مدارس بلدية موسيقية : القبة ، ساحنة أول ماي والحراش *

في سبتمبر 1973 ، المجلس الشعبي البلدي لمعاصمة الجزائر دشن ثلاث مدارس أخرى : الابيار ، ساحة الامير عبد القادر ، وبئر مفدرائيس *

في جانفي 1975 ، دشنت مدرسة بلدية موسيقية في بولوجين ، والثامنة والاخيرة ، في سبتمبر 1975 بحي اليندر *

المدارس البلدية الموسيقية تقوم بتعليم الموسيقى والرقص للمبتدئين وتحضر في نهاية الدورة الابتدائية (3 الى 4 سنوات) لدخول المعهد البلدي (الدورة التحضيرية) في الاقسام الاساسية الآتية : الكتابة الموسيقية ، الموسيقى العربية الاندلسية ، البيانو ، الكمان والرقص * كل قسم من هذه الاقسام يناسبه عمر محدود يسمح بتوزيع التلاميذ الجدد *

هذه المدارس البلدية للموسيقى تستقبل جمهورا من الاطفال هم في المدارس ، ولهذا يتلقون دروسهم بعد دراسة التعليم العام أي في نهاية الامسية * بطبيعة الحال ، كل الدوائر ، حاليا ، غير مزودة بمدارس بلدية للموسيقى * والمجلس الشعبي البلدي لمعاصمة الجزائر الذي لم تغب عنه هذه النقطة ، سيتمكن في مستقبل قريب من ارضاء الدوائر المعنية كي يتمتع جميع المواطنين بتعليم موسيقى وديمقراطي *

آخر حفلة تنشيط كانت في 16 ديسمبر 1976 بعد الظهور في المسرح الوطني الجزائري ، مئات من الاطفال ، تلامذة مدارس ، بعضهم مصحوب بوالديه ، ابتداء من الساعة الثانية بعد الزوال اكتسحوا قاعة المسرح لحضور حفلة التنشيط المقدمة من طرف الجوق السامفوني لعاصمة الجزائر بالاشتراك مع المعهد البلدي لعاصمة الجزائر *

تقررت حفلتان بعد الظهور :

الاولى الساعة 14,30 لتلاميذ المدارس الذين يبلغون أقل من 12 عاما *

الحفلة الثانية الساعة 17 للتلاميذ الذين تتجاوز أعمارهم أكثر من 12 عاما *

حفلة التنشيط هذه ، التي سبقتها حفلات تنشيط لموسيقى الغرفة قدمت في المدارس البلدية للموسيقى في الدوائر ، كانت الاولى من نوعها خاصة بموسيقى الجوق السامفوني * وقدم المنشط للجمهور الفتى ادوات الاوركسترا المختلفة وسمعوا الطابع الخاص لكل واحدة منها *

وعزف الجوق قطعة وعرف نفسه للحاضرين * وبعد ملاحظات عامة ، تتعلق بالنظام ، الانتباه الصمت ، التي من الواجب أن يسود قاعة حفلة موسيقية ، تحدث المنشط باختصار عن ترجمة وتأليف اثنين من الملحنين كانا مدرجين في البرنامج (افتتاحية مغارة فانقال ، تأليف فيليكس مينديلسون ، والسامفونية البطولية رقم 3 لبيتوفن) ، وخاصة وضعهم التاريخي السياسي العالمي * وهكذا تحدث المنشط عن الامير عبد القادر الذي ولد قبل مينديلسون بعامين والذي كان منفيا من الجزائر سنة 1847 أي العام الذي توفي فيه الملحن الالماني *

أما بيتوفن لم يكن فقط معاصرا لبونابارت ، لكن لرسامين مشهورين (دافيد ، بيرون أنغر ، غروس) ، وكتاب وشعراء عرب (عبد الرحمن الجبرتي ، ناصف اليازجي ، رفاة الطهطاوي ، وعبد القادر الجزائري) أو كتاب أوروبيين مثل غوته أو شيلسر *

هكذا بفضل تقنية التنشيط خاصة الموجه لجمهور مدرسي ، كان من الواجب وينبغي أن توضع الموسيقى في اطار جديد يرجع لها بصفة طبيعية ، أي ليست فقط وسيلة تكوين وتربية ثقافية لشببيتنا ، بل أيضا أداة تفكير في القضايا الاجتماعية ، الثقافية والتاريخية لوقتنا *

بين طبل ومزهر ، وبين تاي ومزمار ... نشرح لهم عدم الكفاية أو الوضعية الفلانية في الجوق . تعلم بأنه من الصعب ، على صحافي ، بسبب الوقت أن يدرس الكتابة الموسيقية ، العزف ، العمل الذي يشاهده ويسمعه يعزف من طرف الجوق حتى يقدر أن يقدم نقدا ذا اساس .

لكن رغم هذه الصعوبات ، فالصحافي يجب عليه أن يعلم ويكون جمهوره ، بوثيقة مختارة وبيانات واضحة دون تحيز .

(3) الموسيقيون : هذه الأفاق هي ، حصينا ، متفائلة جدا فيما يتعلق بالموسيقيين ، فالجزائريون محظوظون لأن سمعهم غير مشوه :

إن اذاننا وعقولنا الباطنية ما زالت بكرا لم تؤثر فيها أية موسيقى صناعية ، الكترونية ، غير بشرية .

وينبغي في نفس الوقت تعميم القراءة والكتابة الموسيقية ، والسعي للحصول على أذن عمودية أي تعلم الانصات للموسيقى المتعددة الاصوات لا كضجة غدير مفهومة بل كطائفة من الاصوات ، الاحساس بالتوافق ، كما نشم باقصة ازهار . فالكتابة الموسيقية هي اذن ، عربة الجملة الموسيقية ، وذاكرة الموسيقى .

4) التلامذة - جمهور المستقبل :

لاحظنا بعد عشر سنين من الحفلات العامة بأن الجمهور كان يتنوع غالبا جدا ، ولم يعد ابدا جمهور صدقة بل جمهورا منتظم أو مأخوذا . اذن فتجربة عزف موسيقى الحفلات أمام جمهور من هذا النوع تبين بأنها كانت سلبية .

وابتداء من هذا العام ، شرعنا في تقديم دورة من حفلات - مداولات ، حفلات - تنشيط خاصة لتلاميذ المدارس والطلبة ، وأغلبهم تلامذة المعهد البلدي . وهذا من أجل تحضير تكوين وتربية جمهور فتي ابتداء من تلاميذنا الى والديهم ، حتى تعلق جذور حفلاتنا وأعمالنا وتنمو على أرض خصبة مستقبلية .

5) هل الموسيقى العالمية يتقبلها الشعب ؟

إذا حكمتنا بناء على العدد الاجمالي للمسجلين في المعهد البلدي بالجزائر العاصمة وحده ، وإذا حكمتنا بناء على النجاح الذي قوبل به مسلسل شتراوس المقدم على شاشة التلفزة ، نستطيع أن نقول بأن الشعب يذوق الموسيقى العالمية .

4) دور الاذاعة والتلفزة الجزائرية في بث الموسيقى العالمية : هذه الموسيقى العالمية المذاعة للجمهور ، ينبغي أن يعزفها ويقدمها تلاميذ أو موسيقيون جزائريون تكون لهم الاولوية اذا كان لذلك هدف تربوي * وينبغي أن يعرف بموسيقيه *
- دور ا- ت- ج- ، في ارسال مباشر لحفلات - مداولات ، حفلات تنشيط بالمعاهد البلدية للموسيقى ، في مدارس الموسيقى أو في المسرح الوطني : هذا دور هام جدا سواء في الميدان التربوي أو الثقافي لانه يسمح بالاتصال في اوقات مختارة - بجماهير المدارس ، بالعائلات وهكذا يسمح بتربيتهم تربية موسيقية وبتكوينهم كجمهور *

5) تكوين جوق سامفوني وطني ممتاز : جوق سامفوني وطني يجمع في اغلبيته موسيقيين جزائريين مختارين عن طريق الاختبار ، ويسمح بعزف الموسيقى السامفونية للجزائريين (في المسرح ، السبها ، الاذاعة ، التلفزة) ، ويمرافقة أصحاب العزف المنفرد من الزوار الاجانب ، أو فرق الرقص ، وبكلمة واحدة الدفاع عن الامتياز الموسيقى الجزائري داخل الوطن وخارجه *

الخلاصة

في نهاية هذه الدراسة المختصرة للتعليم الموسيقى وعزف الموسيقى العالمية في الجزائر ، نستطيع أن نقول بأنه انطلاقا من تعليم القراءة والكتابة الموسيقية وثقافة للجمهور يمكننا أن نكون مرجعا ، ننسخ أو نثبت الاغاني الشعبية لمختلف نواحي بلانقا ، والتي منها يولد جنتين موسيقانا الوطنية الاصلية *

لان موسيقانا الوطنية ينبغي أن تكون وحدة جامعة لكل موسيقانا الجهوية ، ورمز بلانقا ، التي تنتمي في أن واحد الى العالم العربي وهي جزء من افريقيا والعالم الثالث *

موسيقانا الوطنية ، بهذا الشرط تكون حينئذ موسيقى وطنية أصيلة * وهكذا يكون لها اشعاع ومستمعون في العالم وتذوب حينئذ بطبيعة الحال في الموسيقى العالمية.



صلى الله عليه وسلم :

منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

منشورات

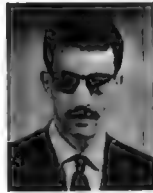
ان بعض الظن اثم

محمد شبيب

نائب مدير في المركز الثقافي
الاسلامي

كان خالد وزوجته خديجة يعيشان في القرية عيشة يسودها الهدوء والرضى والتوافق مضى أكثر من عشرين عاما على زواجهما وهما بينان في عشمهما فكل منهما يبذل أقصى جهد طاقته لتوفير الرفاهية والسعادة للبيت .

فكان خالد يعلم صبيان القرية يحفظهم القرآن الكريم وبعض مبادئ العربية وخديجة تنسج الصوف وتبيع البرائيس .



جاءت ثورة نوفمبر 1954 فكان خالد اول من لبى نداء الثورة واستجاب لصوت الوطن وانتظم في صفوف القذائيين فتراه في النهار معلما ، وفي الليل مجاهدا ، وبقي في هذا العمل حتى سنة 1958 عندما حاول جيش الاحتلال ان يلقي عليه القبض ، وفر من القرية والتجأ الى مدينة البليدة تحت اسم مستعار فوظف في أحد المساجد كمؤذن وكان المرتب الذي يتقاضاه لا يتجاوز مائة دينار وهو راض عن نفسه وقائع بهذا المرتب الهزيل حيث يرى معظم أبناء وطنه لا يحصلون حتى على نصف هذا المرتب ، فكانت خديجة تشعر بالراحة والاطمئنان والرضى بفخر قلبها عندما يعود خالد في المساء الى البيت سالما آمينا ، لا يؤلمها الجوع ولا الحرمان ولم تكن تفكر في شيء سوى ان

جميعاً « سيدى فكتور فكتور » ونظر خالد الى ساعى البريد وعادت اليه الآمال وهدأت أعصابه وسكن روعه ٠٠ ومديده وضافحه وقال له ساعى البريد : انت فلان أجابه خالد نعم انا بالذات ، ثم سلم له الحوالة فيها 8000 دينار وهزته الفرحة هذا وراح ينظر اليها نظرة الجائع الملهوف وأحس بالامل يفتح فى قلبه ويضيء جوانب النفس المظلمة ويطرد غيوم الياس القاتم ٠٠٠ ولكن سرعان ما عاوده الشك فلم يكذ يصدق هذه الارقام كأنها أرقام خيالية ليست حقيقية ، فأخرج منديلا من جيبه ومسح عينيه فوجد الارقام ثابتة ليس فيها تناقض ، فراح ينتقل فى القسم من زاوية الى أخرى ثم كتب الارقام على السبورة وقال للتلاميذ : من منكم يستطيع قراءة هذه الارقام ؟ وقالوا جميعا ثمانية ألف دينار ، واستبشر خالد وتهلل وجهه وقال لهم : بورك فيكم حقا انكم تعرفون الحساب لا أخاف عليكم »

ولم يمد خالد يفكر فى كتابة الدرس على السبورة ، أو تلقين تلاميذه ، بل كان يفكر فى الخروج من المدرسة وينتظر الساعة ويدق الجرس ويذهب الى البريد ليُسَلِّم ذلك المبلغ • دق الجرس وأسرع الى الباب وراح يهرول حتى لا يفوته الوقت فيقول له موظف البريد صد فى المساء •

ذهب تاركا تلاميذه فى الساحة ولم ينظمهم كالمادة ولم يقل لهم العبارة التالية : اصطلقوا اثنين اثنين ، ثم يرافقهم حتى مدخل المدرسة ، فيعود الى القسم ويفلق الحجرة ويضع المفتاح فى مكتب المدير ، ثم يحييه وينصرف •

ووصل خالد الى البريد ومن حصن هظه لم يغلق الشباك وتسلم ذلك المبلغ الذى كان يشك فى صحته •

ولاول مرة فى حياة خالد يحصل على هذا المبلغ الهائل بالنسبة اليه •

ها هو يسير فى الطريق بخطوات وثيدة والطريق يمتد امامه والافاق تتسع ، ويتحدث مع نفسه ويعلمها بالامانى والاحلام ويسلط أضواء الحاضر على الماضى المظلم •• ويطرد أشباح الشؤم عن قلبه •

وصم أن يبدأ بتسديد تلك الديون المتراكمة على عاتقه حتى لا يتهرب من الاصدقاء ولا يتوارى عن نظر التجار بل يمشى فى شوارع المدينة مرفوع الرأس ، لا يخشى من أحد أن يطالبه يدفع الديون •

ثم يغير حياته وحياة الاسرة فى الاكل واللباس وفى النظام حتى يحيا حياة عصرية •

اتقى الله يا خديجة وثقى فى زوجك الطاهر المليف ٠٠٠ الذى يسعى ويكدح من
أجل راحتك ورفاهيتك وسعادة أطفالنا *

طهرى قلبك وطمنى نفسك حتى لا تقمى فى هذه الوحدة العميقة ٠٠٠ التى أعدها
لك إبليس اللعين ٠٠٠

تجنبى الشك وسمه القاتل ، الذى بدأ يسرى فى جسمك الواهى سريان السرطان
الخبث ، ابتعدى عن سوء الظن ، الذى نهانا الله عنه وأمر المؤمنين أن يتجنبوه
ويبتعدوا عن شروره وأشامه ٠٠٠

انه مرض نفسانى ووباء اجتماعى *

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » *

إليس إبليس هو الذى وسوس لآدم وحواء وجعلهما يشكان فى الشجرة التى
نهاما الله عنها وراح يحرصهما حتى أوقعهما فى الشك ، والشك جرهما الى الاثم
والمعصية ، وعندما اقترفا الاثم عاقبهما الله بالطرد من الجنة وجردهما من ثيابهما ٠٠
اذن الظن خنجر مسموم ٠٠٠ كم سفك من دماء طاهرة وأزهق من أرواح
بريئة ٠٠٠ ؟

وكم خرب من بيوت عامرة ٠٠٠ وحولها الى خربة موحشة ؟

وكم مزق من أسر ، وقطع أوصالها وفكك اجزاءها ورمى بها فى الجحيم ؟

وكم يتم من أطفال والقى بهم الى الشوارع وشردهم فى الغياقى ، وقادهم الى
الفساد والأجرام *

وكثيرا ما حول حب الزوجين الى بغض وكرامية وأوقد نار الحقد والعداوة ،
لا لشيء يستدعى العداوة سوى ذلك الظن الاثيم ٠٠٠ الذى بدل سعادتهما بسؤسا
وشقاء ، واستقرارهما قلقا واضطرابا ٠٠٠ وتفاؤلهما شؤما وياسا ٠٠٠ وبناءهما
هدما وتضريرا ٠٠٠

أتنا نشاهد له الضحايا فى كل يوم ، ونراها فى كل مكان وفى كل أسرة *

لقد اطلقت العنان يا خديجة لهذا الظن واستترلى على قلبك وملك كل شعورك
وهيمن على حياتك ، فاعلمى بأنك وضعت معولا فى يد الشيطان ، وسيخرب عشنا
الذى قضينا فيه عشرين عاما كاملة فى بنائه وتشبيد أركانه وستذهب تلك الاتصاب
المضنية هباء وتضيع تلك الجهود الجبارة التى بذلناها من أجل ارساء دعائم الأسرة

[illegible][illegible][illegible]

$\frac{1}{2}$, $\frac{1}{3}$, $\frac{1}{4}$

١٠٠ -

١٠١ -

وَأَمَّا الْفُلُ فَأَنزَلْنَاهُ ذِكْرًا لِّعِبَادِنَا إِنَّهُ لَكَادِمٌ فَالِقَ الْيَمِّ مُتَجِدِّدٌ

၂၇။ နေပြည်တော်၊ ၁၉၇၁ ခု၊ ဇူလိုင်လ ၁၁ ရက်၊ နေ့စဉ်၊ မင်္ဂလာဂြိုဟ်နေ့၊
 နေပြည်တော်၊ ၁၉၇၁ ခု၊ ဇူလိုင်လ ၁၁ ရက်၊ နေ့စဉ်၊ မင်္ဂလာဂြိုဟ်နေ့၊

[illegible][illegible]

... مستحقين مسؤولين ... المبدأ ...

၂၃။ ။ ဤသို့ ဖြစ်ပေါ်လာသော အခက်အခဲများကို အကဲဖြတ်၍ အဆင်ပြေအောင်
 ပြင်ဆင်ပေးရန် အရေးကြီးပါသည်။

أين أمي ؟

أين تركتها ؟

متى تعود ؟ لم يجد لهم جواباً سوى ذلك الصمت العميق المعبر عن حيرته وقلقه ..
يتزوج ، أم ينتظر شفاء خديجة ؟ وتعود الى أطفالها ؟ ولكن من يخدمهم ويقوم
بشؤونهم حتى تعود ؟ ولكن متى ؟

ان في الحياة غيباً مستترا لا يستطيع أكثر الناس نكاه وعلم ، توقعه واكتشافه .
لقد علمتني الحياة ما لم اتعلمه في المدرسة كنت أعتقد أن المال هو الحياة هو
السعادة هو الأمل بل هو كل شيء ، من حصل عليه فاز وانتصر ... فإذا به يجلب
لبعض الناس الفوضى العقلية ويكون سبب شقائهم وتعاستهم ويقلب حياتهم رأساً
على عقب ... وصدق الله العظيم : (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) .



الحرية المدنية

في الاسلام



د. علي عبد الواحد والف
أستاذ علم الاجتماع
في جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي وسادتي ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أما بعد ، فيقصد بكلمة الحرية المدنية التي هي موضوع
محاضرتي ، حالة الرشد القانوني التي تجعل الشخص أهلاً لأجراء
الحقوق وتحمل الالتزامات وتملك العقار ، والمنقول والتصرف فيما
يملك ، هذا ولا نجد شريعة من شرائع العالم قديمة وحديثة قد
وصلت في مبلغ احترامها لحق الحرية المدنية للفرد إلى ما وصلت
إليه الشريعة الإسلامية ، فالاسلام قد أعطى هذا الحق لجميع أفراد
الناس ما عدا الصبي والمجنون والسفيه ، والسفيه هو البسدر
لأمواله ، والذي ينفقها في وجوه لا تحقق نفعاً له ولا لاهله ، وقد
استثنى الاسلام هؤلاء ، رحمة بهم ورعاية لمصلحتهم هم ، ومصلحة
ورثتهم ومصلحة المجتمع ، ومصلحة النظام الاقتصادي العام ، بل إن
الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان ، قد ذهب إلى أنه لا يجوز الحجز على
السفيه معللاً مذهبه هذا بأن في الحجز عيباً ، وهو إنسان عاقل بالغ فالجوز
عليه إهدار لأدميته والحاق له بالبهائم ، وإن في هذا الإهدار وهذا
الإلحاق ضرراً إنسانياً بليفاً يزيد كثيراً على الضرر المادي الذي يترتب
على سوء تصرفه في أمواله ، وأنه لا يصح أن يدفع ضرر بضرر أعظم
منه ، وهذا اتجاه اجتماعي جليل من الإمام الأعظم ، وقد استوحاه من
روح الاسلام وحرصه على احترام الحرية المدنية للأفراد ، وقد سوى
الاسلام في حق الحرية المدنية بين الرجل والمرأة ، لا فرق في
ذلك بين أن تكون المرأة متزوجة أو غير متزوجة ، وقد بينت هذا
الموضوع بالتفصيل في كلمتي السابقة ، وقضى الاسلام بذلك على

من أركان الحرية المدنية لأن حالة الرق تجرد صاحبها من جميع الحقوق المدنية فلا يكون أهلا لاجراء أى عقد ولا لتحمل أى التزام ولا لتملك عقار أو منقول بل ان هذه الحالة حالة الرق التى يتصرف فيها المالك كما يشاء وتشاء له أهواؤه ، هذا المآخذ الذى يأخذ به الفرجة على الاسلام والذى دائما يرددونه على الرغم من ان الرق قد انتهى وانتهى نظامه ، وردنا على هؤلاء - أيها السادة - يتلخص فى نقطتين :

النقطة الاولى : ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تكتنف العالم فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كانت تحتم على كل مشرع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما ، وكانت تجعل كل محاولة لالغائه إلغاء سريعا مرة واحدة مقضيا عليها بالاخفاق ، هذه هى النقطة الاولى التى نرد بها على هؤلاء وسنفصلها فيما بعد .

والنقطة الثانية التى نرد بها على هؤلاء ان الاسلام لم يقر الرق فى صورة مطلقة ، وانما أقره فى صورة تؤدى هى نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، وما أفرطت فيه هاتين النقطتين حتى يتضح موقف الاسلام من هذا النظام .

أما فيما يتعلق بالنقطة الاولى فإن الاسلام قد ظهر فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة تعتمد عليها جميع مناحى الحياة الاقتصادية وترتكز عليها جميع فروع الانتاج فى مختلف شعوب العالم او فى معظم شعوب العالم ، فى هذا العصر ، فلم يكن من الإصلاح الاجتماعى فى شئ، ان يحاول مشرع إلغاء مرة واحدة لان محاولة كهذه فى عصر هذه اوضاعه الاقتصادية كان من شأنها ان تعرض أوامر المشرع للمخالفة والانتهاه ، اذا أردت أن تطاع فمر بما يستطيعه وتشريع كهذا ما كان من الممكن أن ينفذ ، واذا فرضنا انه قد أتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به فإنه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة ويسودى تشريعه الى أضرار بالغة لا تقل فى سوء مقبتها عن الأضرار التى تعرض لها حياتنا الحاضرة ، اذا ألغى مثلا بشكل فجائى نظام العمال وقضى على كل مالك ان يعمل بيده أو بطل استخدام السكك الحديدية أو بطل استخدام البخار ، فالرقىق كان بخار الآلة

نفسها كانت تزاولها ، فحكومتنا أثبتنا في عهد سوتو وقفت قسما من أسطولها البحري على أعمال القرصنة والسبي والخطف ، خطف الرجال والنساء من السواحل ومن داخل البلاد وبيعهم بيع الرقيق لحساب الدولة ولمصلحة الدولة ، وكان من روافد الرق كذلك في المصور السابقة للإسلام ' ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا فكان مرتكبوا هذه الجرائم يحكم عليهم بالرق لمصلحة المجنى عليهم أو لمصلحة أسرهم أو لمصلحة الدولة ، أى أن الرق كان عقوبة من العقوبات كالسجن والاعدام وما إلى ذلك ، وكان من روافده كذلك عجز المدين عن دفع دينه في الموعد المحدد له فكان يضرب عليه الرق لمصلحة دائنيه ، وكان من روافده كذلك سلطة الوالد على أولاده فكان يباح للوالد وخاصة في حالة عوزه أن يبيع أولاده بيع الرقيق ذكورهم وإناثهم في بعض الشرائع وإناثهم فقط في شرائع أخرى ، وكان من روافده كذلك سلطة الإنسان على نفسه فكان يباح للمعوز أن يبيع نفسه بيع الرقيق لقاء ثمن يفرج به أزمته ، وكان من روافده كذلك بل أن هذا كان من أهم الروافد وإن لم يكن أهمها جميعا تناسل الإرقاء وهو ما يسمونه الرق بالوراثة وذلك أن الولد في الأمم السابقة للإسلام كان يتبع أمه رقا فكان من تأتي به جارية سواء كان ذكرا أم أنثى يولد رقيقا مملوكا لسيده ولو كان أبوه حرا ولو كان أبوه سيد نفسه ، وكانت هذه الروافد - أيها السادة - تقذف في تيار الرق كل يوم بالآلاف مؤلفة من الانفس حتى أن عدد الرقيق كان يزيد في كثير من الأمم عن عدد الأحرار بل كان يبلغ أحيانا أضعافا مضاعفة بالقياس إلى عدد الأحرار .

جاء الإسلام وروافد الرق بهذه الكثرة وهذه الضخامة وهذه القوة ، فماذا فعل ؟ **حرمها جميعا ما عدا وافردين اثنين** عملا بسياسته الحكيمة وهي ألا يلقى الرق دفعة واحدة بل يلقى بالتدريج ، حرم كل هذه الروافد ما عدا وافردين اثنين أبقي عليهما ، وهما : **رق الحرب** الذي يفرض على أسرى الحرب ، و**رق الوراثة** الذي يفرض على من تلمه الجارية ولم يترك هذين الافردين طليقتين بل عمد اليهما فقيدهما بقبود تكفل نضوب معيتهما بعد أمه غرطويل ، فمن أهم القيود التي قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه من تأتي به الجارية من سيدها ، قلت لكم أنه في الأمم السابقة للإسلام كان من تلمه

هذا يقول الله تعالى : « **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنْ ابْتَهِتُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** » • ولم تتجاوز حروبهم (ص) هذه الحالات الثلاث سواء في ذلك حروبهم مع مشركي العرب وحروبهم مع اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وحروبهم مع نصارى القسطنطينية والروم في غزوة مؤتة ، فإذا لم تتوافر في الحرب هذه الشروط بأن لم يعلنها الخليفة نفسه أو لم تعلن في هذه الحالات الثلاث أو لم تنفذ وفق تعاليم الاسلام فإنها لا تؤدي الى استرقاق من يؤسرون فيه وحتى مع توافر هذه الشروط جميعها فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للاسر بل يبيح للامام أن يتصرف حيال الاسرى تصرفا آخر يبيع له أن يمن عليهم مجانا ويبيع له كذلك أن يقبل منهم فدية مالية أو يطلق سراحهم في مقابل عمل يصلونه أو يطلق سراحهم في مقابل أسرى عند العدو بل ان القرآن عند ما ذكر الامور التي يمكن أن يلجأ اليها حيال الاسرى بعد القتال تحاشي أن يذكر الرق من بينها واقتصر في ذلك على **المن والفداء** مما يدل على أن الرق مباح الى الله تعالى فأغفله ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَسَلُّوا سُلْهُوَالَهُمْ** » •

ومن هذا يتبين لنا أن الاسلام قد سلك حيال هذا الرافد المسلك نفسه الذي سلكه حيال الرافد الاول فقد قيده بقيود تكفل نضوب معينه بعد أمد غير طويل اشترط فيه شروطا شديدة من شأنها أن تجفف هذا الرافد فهو لم يجعله نتيجة لازمة للحرب بل أباح للامام أن يتجه وجهة أخرى حيال أسرى الحرب ولم يرغب فيه ولم يحجب فيه ، بل رغب في غيره وحجب فيه بدليل ان القرآن أغفله اغفالا تاما من بين الامور التي يصح للإنسان أن يلجأ اليها ، هذا ، الى أن الاسلام لم يجز الا بشروط لا تكاد تتوافر الا في الحروب الاولى التي قام بها الاسلام للدفاع عن نفسه وتأمين دعوته ، أما بعد استقرار الاسلام وبعد تنظيم العلاقات بينه وبين الامم الاخرى فإنه ينسحب ان تتوافر هذه الشروط • هذا - أيها السادة - فيما يتعلق بالمسلك الاول الذي سلكه الاسلام لتصفية الرق ، والذي يتمثل في تضييق الروافد التي كانت تمد الرق وتغذيه وفي العمل على تجفيفها بالتدريج

كثيرة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد ، فحظر على السيد أن يبيع عبده المدبر أو يهبه أو ينقل ملكيته أو يتصرف فيه أى تصرف يعوق حريته ، ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يعاشر السيد جاريته ويأتى منها بولد ، فهذا الولد يولد حراً كما قلنا فيما سبق ، ولكن الجديد هنا أن الجارية نفسها تصبح مستحقة للحرية بعد وفاة السيد ويسمىها الفقهاء أم ولد ، وقد اتخذ الاسلام حيال هذا النوع من الجوارى الاحتياطات نفسها التى اتخذها حيال المدبرين ، فحظر على المولى أن يبيعوا أمهات أولادهم أو يهبوه أو يتصرفوا فيهن أى تصرف يعوق حريتهن ، وفى هذا يقول عمر بن الخطاب عند ما جاءه قوم يستفتونه فى جواز بيع أمهات أولادهم «**البعد أن اختلطت دماؤكم بدمائهن ولحمكم بلحمهن تريدون يبعهن**» ، ومن هذا يظهر أن معاشر السيد لجاريته كانت تؤدى فى الاسلام الى تحريرها هى ، وتحرير جميع نسلها الى يوم القيامة ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل الاسلام يبيع معاشر السيد لجواريه ، وجمله لا يقيد هذه المعاشر بعتد ولا بعدد ، ليسر بذلك سبيل التحرير وليتيح نعمة الحرية لأكبر عدد ممكن من الجوارى وتسلهن ، ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يكتب السيد عبده أى يتفق معه على مبلغ من المال يؤديه اليه ، وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد الذين يسميهم الفقهاء «المكاتبين» ذلل لهم وسائل الحصول على المال فى صورة تدل على شدة تشوفه للحرية وعلى شدة حرصه على تصفية الرق وشدة حرصه على القضاء على هذا النظام يسر لهم سبل الحصول على المال فأجاز لهم أن يتصرفوا تصرف الاحرار فيبيعوا ويشترؤا ويتاجروا ويعقدوا العقود حتى يجمعوا المبالغ اللازمة لتحريرهم ؛ ليس هذا فقط بل انه حث جميع المسلمين على التصديق عليهم ومساعدتهم ، وفى هذا يقول الله تعالى : «**والذين يبتغون الكتاب مما ملكتم ايما نكم فكاتبوهم**» ثم قال : «**وآتوهم من مال الله الذى آتاكم**» . أى انه قد حث جميع المسلمين على أن يساعدوا هؤلاء حتى يستطيعوا أن يجمعوا المال اللازم لتحريرهم فتحرر وقابهم وبجانب هذا كله عمد الاسلام الى طائفة من الجرائم قبل الاسلام تؤدى الى استرقاق الاحرار ، اذا بها فى الاسلام تؤدى الى تحرير الارقاء فجعل الاسلام العتق كفارة للقتل الخطأ وما اليه ، وفى هذا يقول

[illegible]

القدر فيقول : من عمل كذا فكاننا أعتق رقبة ، ويقول الله تعالى :
« فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة » أى ان العقبة التى
يجب أن يقتحمها الانسان حتى يصل الى الجنة تقتضيه أن يكون قد
عمل عملا جليلا فى دنياه ، وضرب القرآن مثلا لهذا العمل الجليل
بفك الرقبة .

ومن هذا - أيها السادة - يظهر لكم صدق ما قلته من أن الإسلام
على عكس ما يزعمه المستشرقون وما يشهر به الفرنجة ان الإسلام
لم يفر الرق فى صورة مطلقة وانما أقره فى صورة تؤدى هى نفسها
الى القضاء عليه بالتدريج ، وذلك كما قلت بأن ضيق روافده الروافد
التي كانت تفذيه وتكفل بقاءه ووسع منافذ العتق والتحرير وبذلك
أصبح الرق كما قلت أشبه شئ بجدول كثرت مصابه وانقطعت عنه منابه
التي يستمد منها الماء وخلق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره
الى الجفاف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والنقطة .

والنقطة ،

والنقطة ،

والمثل :

بالنقطة في

الاسم

الاسم

والمثل :

والمثل الاسم

والمثل

مشكلة الحضارة

للمرحوم مالك بن نبي
مفكر جزائري

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خير المرسلين

معالي الوزير

أصحاب الفضيلة

ساداتي ، سيداتي ، أبنائي الطلبة والطالبات

نقف أولا عند تكميل أو تصحيح آراء لازما بالنسبة لعنوان الحديث :
المعلن عليه في برنامج هذا الملتقى «مشكلة الحضارة» ، فلا أريد
أن أترك السبيل ليتسرب أو ليذهب إلى أذهان بعض إخواننا الطلبة
أنني أتناول هنا قضية نظرية ، لأن العنوان قد يعلن بهذا ، فيجب
على إذن أن أكمل أو أصحح هذا العنوان بشيء ، انني دائما حريص
على أن أتناول القضايا المعاشية حقيقة كما أراها وأدركها الآن ، والحقيقة
معناها نسبي ، قد أخطئ ، وإنما أتناول دائما القضية أو القضايا
المعيشية في العالم الاسلامي ، القضايا بجوانبها النفسية والاجتماعية
التي يمكن جمعها في كلمة موحدة أو عنوان موحد « أزمة الحضارة
الاسلامية » ، هذا موضوع حديثي ، وطبعا وراء كل محاولة تعالج أزمة
حضارية ، محاولة للخروج بحل اذا امكن الامر لهذه الازمة ، وقد
تفضل على سيادة الوزير قبل أمس ، هذه نقطة ثانية أيضا يجب
أن نقف عندها قبل الاستمرار في الحديث ، تفضل على سيادته
وسألني هل أتكلم باللغة الفرنسية أو اللغة العربية ، حرصا منه على
أن يستفيد ربما بعض الطلبة المحرومين من لغتهم ، لغة دينهم ، ولغة
بلادهم ووطنهم ، وأمهاتهم ، ففضلت - وتركتني حرا جزاء الله خيرا -
اختيار إحدى اللغتين ، فأنا بدوري أترك لكم هذا الاختيار نزولا عند

خاص التدهور الاجتماعى ، والاشياء التى تنذر بان الخطر ليس بخطر يهدد الكيان السياسى ، ولكن يهدد الكيان الاجتماعى ، الكيان الحضارى نفسه ، فبعد أن رسم بريشة بارعة لوحة زيتية ، يصور لنا فيها بالوان قائمة محزنة ، صورة المجتمع الذى كان يعايشه بعد ذلك يقول : «وكانى - وكان يكتب هذا فى قلعة بنى سلام ، ليس ببعيد من قسنطينة - بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب ، ولكن على نسبة ومقدار عمرانه ، وكأنها لسان الكون ينادى فى العالم بالانقباض والتقلص ، شىء كذا ، فاجاب » * هذه الكلمات أخطر بكثير مما قاله «المالرو» MARLAUX وأوضح بكثير مما أفصح به «المالرو» وتعبير عن شعور أدق - وصور أوضح ، للظروف التى كان يمر بها المجتمع الإسلامى فى وقته ، وكأنه أراد أن يسمع معاصريه صوت لسان الكون «لسان الكون ينادى» فلم يستمع اليه أحد ، وصدقت رؤياه المتشائمة التى صورها لنا فى لوحة زيتية *

وتشكر بهذه المناسبة أخانا العزيز الدكتور على عبد الواحد وافي الذى أعاد لنا من تراثنا هذه الدرة الثمينة التى نسميها «مقدمة ابن خلدون» بلونها وجوهرها كما ختمها صاحبها عند ما فارق هذا العالم ، فنشكره * ومرت القرون وغطت الامة الاسلامية فى نسوم طويل ، فى تلك المصور التى رأينا فى دراسة نشرت بالعربية تحت عنوان «وجهة العالم الإسلامى» أن تعنونها بـ «عصر لما بعد الموحدين» ذلك العصر الذى تولدت فيه فى هذا العالم الإسلامى تلك الامراض التى كانت تنادى من بعيد الى الاستعمار ، وافنى لأسف جدا لاننى لم احتفظ بوثيقة كانت لدى فى دراسة تاريخية ، فى كتاب خرج من يدى ، فكان ملك اسبانيا PHILIPPE II ارسل - وهذا يعنى فى نهاية القرن السادس عشر - سفيراً له بالمغرب ، بمراكش ، ليراقب الاحوال ، لينظر فى الاشياء ، فوفاء سفيره بما نسميه اليوم «تقريراً» يقول له هذه الجملة الفرية ، بعد ملاحظته ومعايشته ، ومعاشرته ، وممارسته للاشياء التى كان يراها ، أو يسمعا لانه سفير ، يقول له : **وكان الصاية الالهية تهى** . الاشياء لسيلى ، فكانه يقول بلغة عصرنا : **ان الاشياء كانت تمهد السبيل لمجيء الاستعمار** ، وهذا التكهّن ليس بتكهّن عبقري أو غريب ، ما هو إلا تفسير واقعى للاشياء.

دستور يجعل السلطة والسيادة في الهند يمثلها العنصر الاسلامي ،
والتيمة يمثلها الهنودك ، فلما جاءت ثورة CYPAYES سنة 1857
انقلب الوضع رأسا على عقب ، تحولت شركة الهند الى احتلال الهند ،
وتصير الهند الى قطعة ، او جوهرة كما يقولون ، جوهرة في تاج
الامبراطورية الانجليزية تأسست في ذلك العهد ، تأسست على انحراف
هذه الاحداث الامبراطورية الانجليزية ، معنى تأسست على موت
السيادة الاسلامية في شبه القارة الهندية ، وانقلب الوضع الاجتماعي
والسياسي ، فصار السيد مسودا ، وصار المسود سيدا ، ونتجت عن
هذه الاضطرابات ، وعن هذه النكبة ، نتج تيار فكري معين ، يمثل
احمد خان ، فقام امام هذا التيار ، وامام هذا الانقلاب الضمني الذي
وقع في الهند بالنسبة للمسلمين وللإسلام ، وبالنسبة للحضارة
الاسلامية التي هي موضوع حديثنا ، وقع رد فعل عنيف من طرف
شباب تفضل قبل بالكلام عليه أخى الدكتور عثمان أمين وهو جمال
الدين الافغانى ، دون أن يحدد منشأه ومولده ، لان هذه الايام - أعني
هذه السنوات بدأت ظاهرة غريبة جديدة ، وهي حملة جديدة على
رواد الفكر الاسلامي ، من طرف أناس طيبين أحيانا ، وأخطر شئ.
علينا في الصراع الفكري هو ان تستخدم طيبة اسلامية أو طيبة
بعض المسلمين في الصراع الفكري ضدنا ، ضد الحركة الاسلامية،
وتتلمذ عليه الامام عبده ، وفي الحقيقة كان من واجبي
ان اذكر مع الجبرتي وفي الموجة الفكرية التي اخترنا منها ممثلا
الجبرتي اذكر معه مثلا رفاعة الطهطاوي أيضا ، وعو من الموجة الفكرية
الاولى التي اصطدمت بالحضارة الغربية دون ان تستنتج من ذلك
الاصطدام منهجا يكون سبيلا للمسلمين وللأمة الاسلامية للخروج من
أزمته ، وانما الجبرتي ما فعل الا ان ذكر الأشياء ، أما الطهطاوي
فجعل أكثر من هذا ، الطهطاوي يؤخّر الذين باشا في تونس ، وكانا
تعارفا بباريز ، في أول القرن التاسع عشر، فماذا قال باختصار رفاعة
الطهطاوي في كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» لخص باريز
هذا هو الموضوع ، لخص باريز من جوانب يمكن اذا لطفنا الحكم
نقول اجتماعية ، أنا عبرت عن هذه الجوانب في كتاب «وجهة العالم
الاسلامي» فقلت : ان الطلبة المسلمين عند ما يذهبون الى الاحياء

الافغانى نرى لها تقريبا بعدا واحدا ، البعد السياسى ، يريد جمال الدين الافغانى وينادى جمال الدين الافغانى بتغيير التنظيمات السياسية والاضاع الاسلامية ، لتحقيق ما يسميه الجامعة الاسلامية ، ولكنه رجل عند ما ندرسه ، وهذا ما قلت فى شأنه ان لم أخطئ طبعاً ، فى كتاب « **وجهة العالم الاسلامى** » انه رجل طمع الى هدف شريف ، جليل بالنسبة اليه ، وبالنسبة الى عصره ، دون ان يفكر ان آلة التفسير السياسى لم تكن فى يده ، ولم تكن فى يده فعلاً ، كانت فى يد غيره شناه ايران ، والسلطان عبد الحميد ، واسماعيل باشا فى مصر ، وغيرهم .. السلطة كانت موزعة فى أيد مختلفة ، السلطة التى كان يريد ويستهدف توحيدها فى الجامعة الاسلامية وخلافة اسلامية طبعاً ، كانت موزعة ، موزعة على من ؟ موزعة فى أيد متفرقة وموحدة خفية فى يد من حديد ، يد الاستعمار ، والصهيونية ، اذن لم تكن فى يده ، الوسيلة لم تكن فى يده ولا يجوز لى ان أترك الفرصة تمر دون ان أقول انه من هذه الناحية ، الثورى الذى فكر فى الغايات او المقاصد دون ان يفكر فى الوسائل ، ولكن الشيء الذى يهمنى ليس هذا الجواب ، يهمنى كل الجواب ، ولكن يهمنى أكثر ما اجتنى المجتمع الاسلامى من أثر هذا الزعيم الشاثر ، ومن أقواله ، ومن جهاده رحمه الله ، ورحمهم الله أجمعين ، ومن أعماله ، اظن فيما أعتقد أن النزعة التقليدية التى نشأت على أساس الاعجاب ، على أساس الشعور بالاعجاب الذى نقله لنا الطهطاوى وخير الدين ، والى حد ما الجبرتى ، على أساس الشعور بالاعجاب نحو الحضارة القريبة ، أتت النزعة الثورية الجمالية ، جمال الدين الافغانى ، تؤكد بطريقة ما ، لان اللغة التى استعملها جمال الدين الافغانى للتفسير هى أن تستورد السلاح - مثلاً - من مصانع الاعداء والخصوم كى تقلب عليهم الوضع ، وهذه خرافة المسجون الذى يطلب من ساجنه أن يسلم له مفاتيح السجن ، نلخص هذا التيار بطريقة منهجية حتى لا نتورط ، وحتى نختر في الكلام ولا نتورط فى التفاصيل لانه لا يمكن ، ليس لدينا من الوقت ما يكفى للتفاصيل ، فنشأ عن هذا فى العالم الاسلامى أمران سميتهما فى « **وجهة العالم الاسلامى** » : **الشيئية** ، **والتكديس** ، يعنى نقرر ضمناً ، أو علناً ، أو صراحة ، نقرر لما نحضر إمامنا مشكلة ، أو تواجهنا مشكلة ، نقرر اننا سنحلها

أو تبخرت مع الحرب العالمية أفكار أو دعوة جمال الدين الأفغانى
للجامعة الإسلامية ، انتهت مع سقوط الخلافة العثمانية نهائياً ،
قضى عليها السيد كمال أتاتورك ، وعاش تلك الأيام السودا ضمير
مسلم آخر ، تمثلت فيه المأساة الإسلامية وهو شكيپ اوسلان ،
فنشر كتابه **المعنون بسؤال : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم** ،
هذا هو السؤال ، لا اهدف هنا الى ذكر ما احتوى عليه الكتاب ، ولكن
أقول : ان السنين لم تجب على هذا السؤال الى اليوم ، ونجد ان
السؤال يتردد فى كل مناسبة إسلامية ، مثل هذه المناسبة الكريمة
التي ندين بها الى فضل والى روح الجهاد أكثر من فضل روح الجهاد
التي نلتصقها فى معالي أخينا الوزير السيد مولود قاسم ، فى كل
مناسبة نرى ان هذا السؤال يتردد فى صورة أو أخرى وسعته
أس على لسان أخى وحبيبي الدكتور عثمان أمين عند ما قال لنا :
لماذا وقعت التبعثة ، وقعت توعية على كل حال قوله ، كلمة التبعثة
وقعت منذ سنة 1850 ولم تر نتيجة فى نطاق الامة الإسلامية ، أما
التغيرات الأخرى موجودة فعلا ، أما فى نطاق الامة الإسلامية لا نرى
التغير المنشود الذى يضعنا فى مستوى الكتل البشرية الأخرى ،
مثل الكتلة الصفراء ، أو الحمراء ، أو البيضاء ، كما تريدون لم يحصل
هذا التغير الجذرى لاجل امرين ، مثلا اذا حللنا نقول لاجل امرين
حتى لا نتكهن نقول لاجل امرين ، ان طريق التغير مفلق الى الابد ،
خلاص انتهينا ، يجب ان نذكر الله ونحمد الله ، ونشكر الله ،
ونتأمل الساعة ، كما سادت فى القرون الوسطى التي مضت عندنا ،
القرون التي نسميها ما بعد الموحدين ، كانت تسود عندنا حكمة
شعبية ، لما يسأل أحدنا : كيف الحال ؟ ناكل القوت وننتظر الموت ،
خلاص ، اذا كان الطريق لا وجود له خلاص ناكل الخبز وننتظر الموت
وانتهينا ، واذا كان الطريق موجود فلا بد من البحث عليه والتنقيب
عليه حتى نضع عليه الاقدام ، ثابتين متثبتين من صحة هذا الطريق ،
حتى لا يضيع علينا قرناً آخر .

وهنا تمنيت - وحيث لاتنفع التمنيات - لو كانت أمامكم سبورة
خشبية ، لان أحيانا بعض الأشياء نستعين فى التعبير عليها رسماً
أو كتابة على السبورة ، ولكن الحمد لله ، نصوص هذه السبورة
الخشبية بالسبورة الجوانية ، ان لدى كل واحد من ابنائنا الطلبة

للمجموعة تعيش ما بعد الحضارة ، مثلا العرب والارانيون ، والترك ، الهندوك ، الأندونيسيين الخ . . هذه الشعوب كلها شعوب ما بعد الحضارة ، مع أن دخلنا في الموضوع من باب تأزم الأوضاع الحضارية فيجب أن نجد إذن كيف ندخل بالقطاع الذي هو ما قبل الحضارة ندخله في الحضارة ، وكيف نعود بالقطاع الذي خرج من الحضارة كيف نعود به للحضارة ؟

فالحقيقة لازدواج المشكلة لأن إذا طبقنا المقياس العددي statistique بجانبى الكمي والكيفي ، الجانب القيادي في هذه المجموعة هو تقريبا العالم العربي ، مثلا العالم الذي بعد قيامه بحضارة ، ولكن قبل هذا فأننى أريد أن أقول شيئا ، فأننى أن أقف عند هذه الظاهرة : لماذا الأمة الإسلامية اليوم في مجموعها لا تراها في المرحلة الثانية ، في المرحلة الوسطى ، مرحلة الحضارة ، لماذا؟ والله الأمر طبيعى لا غرابة فيه ، وليس هذا بدعا في التاريخ ، لا أجوز لنفسى مركب النقص ولا مركب الاستعلاء ، فالأمور طبيعية تجرى مجراها الطبيعى ، كما أرادتها سنة الله في الكون ، فالآن لو أردنا الجواب عن سؤال شكيب أرسلان نقول والله السؤال في غير محله لمثل أن الأمور الطبيعية هكذا ، لماذا أوروبا بعد انتهاء الحضارة الرومانية ، مع سقوط روما في أواسط القرن الخامس المسيحى ، لماذا أوروبا دخلت في القرون الوسطى أو العصور الوسطى كما يقولون ، يعنى في الهمجية ، والجهل ، والوحشية ، لأنه أمر طبيعى لا طريق لنا لجواب آخر ، لأن الأمور الطبيعية هكذا ، يجرى سير البشر في التاريخ ، لماذا خرجت الأمة الإسلامية من طور الحضارة في مجموعتها القيادية ، لأنه أمر طبيعى ، لأنها قامت بدورها المدة الكافية وخرجت ، إذن ليست بالمشكلات ، لماذا خرجت من الحضارة لا ليست مشكلة ، أمر طبيعى ، في الحقيقة نحن في عدم لأنه يكفينا أن نفتح أى كتاب تاريخ فنجد أن الحضارة تدوم مدة معينة وتضى إلى غيرها (وتلك الأيام تناولها بين الناس) هذه سنة الله في كونه .

أما السؤال الذى يهمنا هو : نعم الأمر طبيعى إذا كنا خرجنا ، إذا بعضنا خرج من الحضارة ، وبعضنا لم يدخل فيها ، فهذا أمر طبيعى يجرى طبقا لحكمة الله ، وطبقا لسنة الله في خلقه ، وانما الشئ المهم العلمى الذى يهمنا نحن لمواجهة أزمة حضارية التى شعر

والجزر ظاهرة تابعة لسير القمر ، انظروا اثنى عشر قرنا والاكتشاف هذا بدأ ، فى أوروبا بدأ طبعا بعد اثبات قانون الجاذبية فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقلت للسيد (قارودى) الحضارة الاسلامية أدت رسالتها فى مدى من الزمن ، كاف لأداء رسالتها ، كما ان الحضارة الرومانية التى سبقتها أدت رسالتها فى مدى كاف ((وتلك الأيام ندأولها بين الناس))

أما الآن نحن نبحث ما كان رصيد هذه الحضارات التى توالى على وجه الأرض الواحدة تلو الأخرى ، بأى رصيد دخلت المجتمعات الانسانية من المدم الى التاريخ ، الى الوجود ، الى الحضارية ، بأى رصيد دخل العرب فى بداية القرن السابع الميلادى بأى رصيد ؟

الحمد لله أرادت الحكمة والعناية الإلهية أن تبسط الأشياء لبنى آدم ، فجعلت الرصيد الحضارى على الشياخ ، لم تجعله فى كنف الحضارات أو طائفا متقدمة كما نقول اليوم ، وفى رعاية الخط البيانى لمتوسط الدخل السنوى فى العالم ، لا ، الرصيد رصيد على الشياخ ، طبعا يجب علينا بعد هذا ان نتأكد، ولكن الرصيد على الشياخ للأدبيين على وجه العموم هو : الإنسان وإمكاناته ، طبعا إمكانياته كلها ، الذهنية ، والجسمية ، ترابا بما فوقه وتحت ، طبعا لما نقول تراب بالتعميم ، معنى التراب بالتعميم LA BIOSPHERE المجال الحيوى الذى هو التراب ، ثم الزمن العناصر الثلاثة هذه هى رصيد كل حضارة وإذا أردنا طبعا ويجب علينا أن نتبين من هذا فى كل حضارة ، وإذا أردنا طبعا ، ويجب علينا أن نتبين من هذا فى تحليل عينات معينة على غرار الباحث عن المعادن يأتى عند ما يكتشف مثلا معدنا معيناً فى قطعة أرض معينة يريد أن الأشياء ترتبط ببعضها التقدير الاقتصادى مرتبط بالكمية الموجودة من هذا المعدن ، لأن إذا جاءت آلات ومشينات ، ومهندسون ، وأجهزة ضخمة الى استغلال طن من ذهب معناه خسارة كبيرة ، إذن التقويم كيف نقوم ؟ مثلا الحديد، منجم الحديد يؤخذ من عينات معينة بعيدة عن بعضها مائة متر أو مئتين ، أو ثلاثة ، أو كيلو مترا ، لست أدري، وبعيدة أيضا على بعضها. عمقا وسطحيا ، ثم تحلل هذه العينات ، ونقول مثلا المنجم القلانى فيه حديد مردوده كذا وكذا ، مثلا ونزعة قارودىها اطن 65% أو 70% من الحديد، إذن نحن لو نأخذ عينة من الشينيات الحضارية وهو المنتج

[illegible]

اكتشف الموجة الكهربائية ، معناه انه لو لم يكن بين (ماركوف) وبين (هرتز) هذا المقدار من الزمن لم تكتمل شروط اختراع السيد (ماركوف) ، لم تكتمل الشروط ينقص شيء ، اذن الزمن شيء جوهري في كل المعادلات الاجتماعية ، معناه في كل المنتوجات الحضارية ، فاذا تأكدنا من هذا باضافة العلم فوجدنا العلم نفسه يحل الى ثلاثة اشياء الانسان ، التراب ، الوقت ، اذ لا يضاف الى هذا شيء ، اذا سحبنا شيء نرى ان السحب يزيل الشيء ، اذن المعادلة صحيحة صحت بطريقتين المعادلة صحيحة هذا يساوي الانسان + التراب + الوقت

فصلا .

الآن نراجع في ضوء هذه المعادلة الطريقة المتبعة ، المتبعة بالضرورة ، لسنا في مقام النقد ، نحن في مقام الدراسة ، ولسنا في مقام كيف ولماذا ، لسنا في مرافعة ضد الماضي ، ضد الجذود ، ضد الاعداء ، لسنا في مرافعة ولكننا ندرس ، نحن ندرس ، نقول الآن اذا اردت ان اجعل على هذه السبورة الجوانية التي وضعناها امامنا قائمة الاشياء الحضارية كلها ، مثلا من الابرة الى الصاروخ ابولو 13 أو 14 ، فلو نضع هذه القائمة على السبورة منتج حضارى رقم واحد يساوي انسانا + ترابا + وقتا ، منتج حضارى رقم 2 يساوي انسانا + ترابا + وقتا ، منتج حضارى رقم 3 يساوي انسانا + ترابا + وقتا ، ونكتب عشرين سنة أو ثلاثين سنة ، أو مائة سنة لا نعرف ، نحن لا نعرف ، نكتب بعد مائة سنة تنتهي المنتج الحضارى النهائي لا نعرف ما هو ، أبو لو لست أدري عدد كم ، يساوي انسانا + ترابا + وقتا . هذه الصيغة على السبورة الجوانية توحى لنا شيء اننا نجمع هذه الاشياء . يعنى منتج حضارى واحد ، منتج حضارى اثنين ، منتج حضارى ثلاثة الخ . . حتى المنتج الحضارى النهائي نجعلها ونسميها كما يقولون Segment Produit de civilisation يعنى مجموع منتج حضارى خلاص ، لا نقصد الاشياء ، مجموع منتج حضارى يساوي من الناحية الاخرى ، الطرف الآخر مجموع انسان + مجموع تراب + مجموع زمن ، هذه من الناحية الرياضية المعادلة تكفى هكذا ، وهذا من الناحية الرياضية هذا هو الضبط على القاعدة الرياضية ، يعنى لا مجادلة فيها ، العبارة لنا في هذه المعادلة النهائية مجموع منتج حضارى يساوي مجموع

إعدادها للوجود ، في 8 ماي 1945 بقت النائية قاعا صنفيا وبقي الشعب الألماني فارغ الوطاب، ليس في يديه ولا في جيبه شيء فاعاد كل البناء إذن يجب علينا أن نفرق بين طاقتين أو امكانيتين الامكان النقدي المالي ، والامكان الاجتماعي ، هذان أمران يجب ألا نخلط بينهما لأن الخلط هو الذي يجعلنا نتورط في عملية عابثة فاشلة هي عملية التكديس لأنها عملية مستحيلة ، مهما تكس من - الأشياء المشتريات ، مهما تكس ومهما ندفع من جيوبنا فلا نستطيع أبدا والى الأبد أن نستورد كل منتوجات الحضارة هذا مستحيل ، هذه استحالة اقتصادية ، ولكن هناك استحالة أخرى لعلها أشنع ، وهي استحالة منطقية لأن من الناحية المنطقية ماذا يعنى لما نستورد الأشياء لتكون على أساسها الذي يسمى حضارة ، كى نخرج بها من أزمة حضارية معينة ، أئى لنعود بهذا المجتمع أو ندخل بهذا الطرف الآخر لمجتمعنا الاسلامي في الدورة الحضارية ، اذا أردنا على هذا الأساس أن نعود بهذا الطرف الى الدورة الحضارية على أساس اشتراء القائمة فاننا نجرى أو نسير على قاعدة من يريد انتاج السبب ، او تسييب السبب عن نتائجه ، وهذا ضرب من المستحيل ، وهذا خطأ فاضح من الناحية المنطقية ، ان الحضارة لا تكونها منتوجاتها بل الحضارة هي التي تكون منتوجاتها كلها .

والحمد لله ان المجتمع الإسلامي ، وفي هذا الوطن على وجه الخصوص بدأت بوادر خير واننا نعيد النظر في قضايا كانت مهمة وهي الآن قائمة تحت نظر المسؤولين في مختلف البلاد العربية والاسلامية ، والعربية على وجه الخصوص ، فاننا نعيد النظر اليوم في أخطر قضية من هذه القضايا ورأس هذه القضايا كلها هي قضية الانسان ، قضية الفرد ، قضية الرجل ، فالقضية ليست قضية الأشياء والمنتوجات الحضارية ، فهذه قضية هيئة ، أما الشيء الذي نفقده - كنا نفقده - والآن والحمد لله - ولست مبالغا في التفاؤل أظن - دخلنا في طور جديد واننا نعطي لقضية الانسان مكانها الاول في محاولات التغيير التي تجري اليوم في المخططات التي تطبق في البلاد الاسلامية على الصوم ، وفي البلاد الجزائرية على وجه الخصوص ومنها ما تلفت اليه نظر شبابنا الشباب العربي كله ، والشباب الجزائري ، لاننا اليوم نعيش معركة كبيرة في هذا الوطن ، معركة

منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

